روايات عبير

چان هوپر

زائرة الجزيرة

WWW.REWITY.COM
مرموزية

٣٤٩

روايات عبير

ABIR - No 349

www.rewity.com

"تاكدي ان تلحقي باخر معدية"

استطاعت "هيلاري" ان تفهم انه يعني ما يقول . لقد وصلت إلى الجزيرة الاميركية الصغيرة في مهمة من اجل اختها الصغرى "سالي" . كي تعثر على الصغيرة "جينا" ابنة اختها التي انتزعها ابوها بعد معركة .

لم تتوقع "هيلاري" بالضبط استقبالا حارا من ابن عم زوج "سالي" ذلك المتعجرف الوقح الذي يراس العائلة "إميليو واكورماك" . لم تستطع أن تفهم لماذا يعارض بهذه الحدة ولا سبب لرايه المنحط عن "سالي"

لقد جعلها ذلك اكثر تصميما عن اي وقت أخر على ان تمكث وان تصلح الأمور .

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠ د	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

No. 111- 0295

شخصيات الرواية

١ - " هيلاري ساليناس" : شابة تعيش بمفردها في مدينة لندن وكانت مسؤولة عن والدتها واختها الصغرى بعد وفاة والدها في سن مبكرة.

٢ - " سالي ساليناس" : شقيقة "هيلاري" وهي فتاة طائشة متزوجة من "انطونيو واكورماك"

٣ - المركيز "إميليو واكورماك" : نبيل اميركي يعيش في جزيرة "ميلانو في اميركا وهو كبير عائلة نبيلة وياتمر الجميع بامره .

٤ - "انطونيو واكورماك" : ابن عم "إميليو" ويعمل تحت إمرته ويخضع لاوامره في كل شؤون حياته

المقدمة

- إذن استطعت ان تجدي حجرة نومي.

راقبها "إميليو" بعينيه الثاقبتين السوداوين ، فكرت في هلع ماذا يظن ، يا إلهي ؟ بدات تتلعثم وهي لا تحب الطريقة التي كان ينظر بها إليها في تلك اللحظة وقد بدات نظراته تتجول فوق جسدها . قالت وفمها جاف وهي تتراجع - لقد اخطات ... إنه ليس ما ... لست اعني....

ابتسم ابتسامة غريبة وقال :

- لا تعتذري يا عزيزتي هيلاري إنني لا اشكو ...

ثم استدار كي يغلق الباب بالمفتاح ثم القى بالمفتاح في جيب سترته واكمل :

- رغم انني استطيع ان اقول انني دهشت قليلا غير انني لم يكن لدي فكرة انك في عجلة من امرك إلى هذه الدرجة كي تجري ابحاث السوق التي تحدثنا عنها .

فتحت "هيلاري" فمها كي تحتج ولكنها شلت من الخوف والرعب حيث عبر الحجرة نحوها في خطوات تشبه خطوات الفهد ...

www.rewity.com

الفصل الأول

انطلق القارب البخاري وسط المياه الممتدة وكانه طائر ابيض . كانت مياه الخليج تشبه في لونها الماسة الزرقاء . احست "هيلاري" عند رؤيتها إياه بطعنة مخيفة . إذن هذا هو ما يسمى بسيارة الأجرة التي ستقلها إلى عش الصقر حيث المواجهة التي لا بدلها ان تقوم بها و هزت شعرها الأشقر الطويل المنسدل على ظهرها وزمت شفتيها في تصميم . قد تكون عصبية ولكنها كانت مصممة على إنهاء مهمتها. إنها لم تطر عبر نصف اميركا كي ترجع عن مهمتها الآن .

قادها الولد الصغير الضئيل الذي كان يرتدي تي شيرت" حائل اللون من الفندق الصغير الضئيل الذي قضت فيه الليلة خلال الحواري الحجرية المنزلقة والضيق إلى الميناء الصغير للجزيرة المزدحمة بالضجيج وقد اخذ يشد جيبها بعصبية ويامرها :

- تعالي يا " سيدتي" ... اسرعي ..... اسرعي .

اخذا يمران خلال الزحام وقد اضاء وجهه الكالح عندمارأى الرجال والنساء يفسحون لهما الطريق وقد اداروا رؤوسهم في فضول نحو

الفتاة الملفوفة ذات المظهر الأجنبي وذات الشعر الأشقر الطويل والعينين الزرقاوين . ابتسمت "هيلاري" في مكر في نفسها . على الاقل بدا مرشدها الغامض يمتع نفسه وهما يسيران وراء بعضهما ناحية المكان المخصص لرسو العبارة في نهاية المرسى ، وقد اوشكت - ان ترسو العبارة في هذه اللحظة .

ابتسم الصبي وهو يشير نحو القارب البخاري الذي احاط به خط وعلامتان حمراء وذهبية وهو عبارة عن جناجي صقر مفردين وهو يعلن :

- إنه من اجلك يا "سيدتي" ! .

ابتسمت "هيلاري" ردا على ابتسامته وهي تتخيل مدى سخرية وضعها تساءلت امام ذلك القارب الفاخر الذي استؤجر من اجلها من يصدق انها منذ اقل من اربع وعشرين ساعة كانت تكافح مع حقائب ملابسها عبر "لندن" ومترو "لندن" النفقي في طريقها إلى محطة قطارات "فيكتوريا" وخلال السيارة المزدحمة التي نقلتها إلى مطار " لوتون" لتلحق برحلة الطائرة إلى " صقلية" ثم بعد ذلك في اواخر الليلة الماضية كانت تكافح طريقها عبر زحام وضجيج "كاتانيا" كي تلحق بمعدية تنقلها إلى "ميلانو" لقد عوملت بطريقة ملكية حتى تلك اللحظة بفضل شقيقتها "سالي" . ولكن ذلك فقط كان لأن "سالي" كانت موجودة في ذلك المكان .

أخذ محرك القارب يقذف بالماء الذي اصطدم بجانب المرساة الخشبية فمدت يدها داخل حقيبة يدها واخرجت بعض "الليرات" اعطتها للصبي الذي شكرها بابتسامة ثم استدارت نحو الرجل ذي اللحية الذي يرتدي قميصا ابيض ناصعا وشورتا والذي كان يعمل مساعد ملاح . قال لها :

- السيدة "ساليناس" ؟ هيا اركبي .

قدم لها يدا لتسندها فقبلت دعوته وصعدت إلى القارب ، بعد لحظة جلست فوق المقعد المغطى بالجلد الأحمر الساخن نتيجة تعرضه لحرارة الشمس ، بينما اخذت الرياح الساخنة تتخلل شعرها عندما دار القارب دورة واسعة نحو الجانب الجنوبي للميناء واتجه نحو

البحر المفتوح للجزيرة التي فيها القصر المسمى "كازا جراندي" حيث يقيم إميليو واكورماك والتي تتجه إليها في تلك اللحظة . اخذت تهمهم من بين أسنانها :

- هذه هي يا "سالي" ، وادعو الله ان اتمكن من تسليم البضاعة .

دارت حول نفسها كي تحملق نحو الشاطئ الذي كان يلمع تحت شمس يوليو الحارقة . خلف الشاطئ قامت المباني الحجرية ذات اللون الأصفر والسقف الأحمر للمدينة الصغيرة والمتناثرة بين تلال المدينة المزدانة باشجار السرو وبسيطر عليها جبل "مونت فالكون" المتعرج الغامض والمخيف كاسمه. ادارت هيلاري راسها بعيدا . كانت آخر مرة زارت فيها الجزيرة عندما حضرت حفل زفاف شقيقتها "سالي" منذ ثلاث سنوات وعندما اذهلت "سالي" عائلتها بمصاهرتها مركيزا اميركيا . وذكرت "هيلاري" نفسها ان ذلك الأمر لم يكن حقيقيا . فقد كان زوج شقيقتها المدعو "انطونيو" في الحقيقة ابن عم "إميليو" وانهما تربيا كشقيقين منذ طفولتهما ومنذ وفاة والدي "انطونيو" على اية حال بدت "سالي" وكانها تعيش كعضو حيوي في المجتمع الأرستقراطي خلال السنوات الثلاثة الماضية . كانت تصف في خطاباتها غير المنتظمة الحفلات الدورية والرحلات حول العالم التي لم تدع لها وقتا على ما يبدو لزيارة - ولو عارضة - لوطنها . كانت "هيلاري" مشغولة عادة في عملها الروتيني كسكرتيرة في لندن . وقد فكرت مرارا في اختها الصغرى التي تعيش في جزيرة مشمسة في البحر الأبيض المتوسط مع زوجها الوسيم وحسدتهاعلى تلك الحياة . لذلك ذهلت "هيلاري" عندما ظهرت اختها "سالي" فجاة عند شقتها الصغيرة في مدينة "كنتش تاون" من يومين وهي يائسة باكية واعلنت ان زواجها يواجه الاعاصير . كانت "هيلاري" قد حملقت إليها غير مصدقة وارادت ان تعرف منها : - ولكن لماذا ؟ ماذا حدث ؟

القت "سالي" بنفسها فوق مقعد ذي مسندين واخذت تطرف بعينيها الدامعتين ووجهها ممتعض وقالت :

- لقد تعاركنا معركة رهيبة ، ورحل "انطونيو" واخذ معه "جينا" . إنها غلطتهم لقد كانوا يكرهونني دائما والآن حرضوا "انطونيو"

ضدي .

نزلت "هيلاري" على ركبتيها واخذت تستمع إلى اختهاالباكية .

- من يا "سالي" ؟ من الب عليك "انطونيو" ؟

- كلهم . كل اسرة "واكورماك" اللعينة وبخاصة "إميليوا" .

اخذت "سالي" تشهق وهي ترفع إحدى خصلات شعرها القصير واكملت :

- إنه يدير حياة "انطونيو" وكانه طفل و "انطونيو" يسمح له بذلك ، وهو يتدخل في كل ما افعله لقد خرب زواجنا . لقد انتهى زواجنا يا "هيلاري" !

قطبت "هيلاري" وقالت :

- هل هذا هو سبب المعركة ؟

هزت "سالي" راسها في صمت ثم قالت :

- لقد اخبرت "انطونيو" انني لم اعد اتحمل الوضع وهددت بتركه والعودة إلى "انجلترا" مع "جينا" ثم عرفت بعد ذلك انه اختفى واخذ طفلتي ... ارجوك ساعديني لأن استعيد طفلتي .

اخذت تنتحب فامسكت "هيلاري" بيدها لتطمئنها :

- اين اخذها ؟ هل تعرفين ؟ .

ارتعدت شفتا "سالي وهزت راسها :

- لا ، ولكنني اعرف من فعل ذلك . إنه "إميليو" .

لوت شفتيها وهي تنطق اسمه وهي تقول :

- لا توجد ورقة شجرة تسقط في الجزيرة إلا ويعرف بها " إميليو" وهو يعرف المكان الذي اخذها إليه "انطونيو" .

- وهل تحدثت معه ؟ .

- لا استطيع ذلك ولا فائدة منه . إنه يكرهني يا "هيلاري" تماما مثلما اكرهه وساضيع وقتي سدى لو حاولت الحصول منه على اية معلومات ولكنك تستطيعين يا هيلاري" . إنني اعلم انك تستطيعين . إنك تستطيعين إقناعه كي ينصت إليك .

- انا ؟ إنني حتى لا اعرف الرجل .

- ارجوك يا "هيلاري" افعلي ذلك من اجلي ومن اجل طفلتي "جينا"

ابنة اختك . اذهبي إلى الجزيرة وتحدثي معه . اقنعيه ان يامر "انطونيو" ان يعطيني ابنتي . إن "انطونيو" سيفعل كل ما يقوله له "إميليو"

انهمرت الدموع من عينيها وهي تتوسل :

- ارجو يا "هيلاري" ! ، لن اطلب منك ان تفعلي اي شيء اخر من اجلي طوال حياتي .

بعد اقل من اربع وعشرين ساعة كانت "هيلاري" في طريقها . كيف يمكن ان تخيب امل اختها المتوسلة ؟

إلى جانب ان عنايتها باختها الصغرى "سالي" مسلك طبيعي لديها ، وعلى الرغم من ان ثلاث سنوات فرقت بينهما فقد ظلت الاخت الكبرى تلجا إليها الاخت الصغرى. كلما المت بها ملمة .

اخذ القارب البخاري يدور حول نفسه متجها إلى الشاطئ مرة اخرى، ظللت "هيلاري" عينيها بيدها وهي تنظر نحو الخطوط السحرية لـ"كازا جراندي" وهي ترتفع فوق الصخرة بقبابها وسقوفها العالية وجدرانها المستديرة مما اعطاها مظهرا غامضا وعتيقا . كانت قد راتها من قبل في زيارتها السابقة ولكنها لم تطاها بقدميها من الداخل . ولم تكن تبالغ عندما احتجت لدى "سالي" ان مالك القلعة يعد غريبا تماما عليها . لقد قدمت باقتضاب بعد الزفاف وبقيت لديها ذكرى واضحة وحادة لحضوره القاتم المخيف . ولكن ذلك ذهب بمجرد انتهاء التعارف المخيف بينهما .

رسا القارب في الميناء الخاص ثم اقتيدت "هيلاري" عبر الصخور المنحوتة إلى درج صاعد إلى وجه الصخرة حيث وجدت رئيس خدم كهلا في بنطلون اسود وسترة زرقاء ينتظرها . قدمها الرجل ذو اللحية بإنجليزية نطق كلماتها بقوة :

- والآن اذهبي معه .

لم يتح لها وقت كي تهز راسها شاكرة حيث وجدت نفسها وقد وجهت نحو مصعد قديم اغلق عليها بابه الحديدي بعد دخولها وصعد بها وبمرافقها الصامت بسرعة وبلا ضجة خلال صخرة مرتفعة .

بعد لحظات فتح الباب مرة اخرى وطرقت "هيلاري" في دهشة

متعجبة عندما افسح لها الرجل ذو السترة الزرقاء الطريق كي يسمح لها ان تمر امامه إلى قاعة ضخمة مرتفعة السقف مقسمة طوليا إلى خمسين "باكية" عالية وضخمة واعمدة نحاسية مشغولة كانت تتوقع ان تخرج إلى فناء خارجي وليس مباشرة إلى قلب محل إقامته "واكورماك"

انحنى رجل وقال وهو يلوح بيده :

- انتظري لحظة يا سيدتي .

اشار الرجل إلى مقعد حجري منحوت من الصخر ومغطى بالوسائد السميكة والموضوع بعضها مستندة إلى الجدار المغطى بالبلاط الملون باللونين الابيض والازرق ، جلست طائعة وهي تحس بنعومة الحرير المغطاة به الوسائد واخذت تراقب عندما دلف الرجل خلال احد البواكي إلى مكان خفي .

تساءلت عما ستقدم بعد ذلك واخذت تسوي جيبتها فوق فخذيها وارسلت شعرها الاشقر الطويل على ظهرها ..

منذ الصباح المبكر عندما بدات اولى محاولاتها للاتصال لـ"إميليو" وهي تنتقل من يد إلى اخرى وكانها طرد . تحدثت هاتفيا اولا إلى عضو غير معروف من المحيطين بـ"واكورماك" ثم انتظرت حوالي ساعة في البنسيون الحار لدرجة التجفيف نفس الشخص كي يرد عليها برسالة من سيده مفادها انه يمكنها ان تقدم بنفسها إلى الميناء بعد نصف الساعة ثم بعد ذلك عندما سالت صاحبة البنسيون" الواقفة خلف مكتب الاستقبال عن الطريق ، ظهر الصبي ذو الـ"تي شيرت" القديم كالشبح من خلف الجدار :

- سيّدة ساليناس ! تعالي معي من فضلك

ولم يدهشها إطلاقا ان يظهر ذلك التابع غريب الأطوار كالجن وينقلها كالروح إلى مكان ما . سمعت صوتا

- مرحبا بك في "كازا جراندي" . إن سروري بالغ ، وغير متوقع ان استقبلك في منزلي .

كان الرجل الذي ظهر خلال الباكية غير غريب الاحوال على الإطلاق . عندما نظرت إليه "هيلاري" لاول وهلة رات شخصا طويلا عريض

الكتفين في حلة صيفية فاخرة فاتحة اللون . وكانت ملامحه قوية ورأسه محاطا بشعر ناعم كالحرير .

كان لها الحق في أن تتذكره كشخص بغيض منفر .

فعلى الرغم من الابتسامة الباهتة المرحبة التي تلاعبت على شفتيه كان "إميليو واكورماك" يحمل كل مظاهر السلطة غير المستقرة بشكل غامض بعض الشيء . عندما تقدم نحوها وهو يمد إحدى يديه في تحية ، نهضت على قدميها وغمغمت :

- شكرا لك .

قبض على كفها بحزم وبرود والتقت عيناه بعينيها وكانتا داكنتين كمنتصف الليل قال متسائلا :

- إن هذه في الحقيقة مفاجاة . ما الذي احضرك إلى "ميلانو"؟ هل انت هنا في عطلة ؟

أجبرت نفسها على أن تظل تحملق إليه واجابت :

- ليس بالضبط . إنني في الحقيقة اتيت لمقابلتك .

رفع أحد حاجبيه السوداوين إلى اعلى وقال :

- كل هذه المسافة كي تقابليني؟ في هذه الحالة يجب ان اشعر بمزيد من الارتياح .

وكانت ابتسامة باهتة بعض الشيء قد تلاعبت فوق شفتيه وتكلم بصوت عميق ناعم كالحرير .

قادها إلى غرفة فسيحة مفتوحة النوافذ وقد أسدل الشيش عليها بعض الشيء ليحجب اشعة الشمس الملتهبة

تصورت " هيلاري " انها عبارة عن حجرة مكتب عندما رات مكتبا كبير بجوار إحدى النوافذ مغطى بالأوراق وتساءلت إن كان هذا الاستقبال فى هذا المكان هو نوع من التحقير في وسط غير رسمي في مكان عمل ، ام انه نوع من الالفة في حجرة المعيشة الخاصة ؟ على اي حال فإن الأمر لايهم خاصة وانه لم يجلس خلف المكتب وإنما عبر مائدة منخفضة ومربعة في احد الأركان واشار بيده إلى اريكتين محيطتين بجانبي المائدة ودعاها للجلوس ثم انتظر في ادب حتى تجلس ، قبل أن يجلس بجسده الطويل ويستند إلى الوسائد في

الأريكة المقابلة . ظهر رجل في مدخل الباب وهو يحمل صينية وقال لها " إميليو " عندما وضع الرجل كوبين خاليين من الزجاج امامهما وصب سائلا عنبريا ووضع بعض اوراق النعناع :

- شاي مثلج .. إنه منعش جدا في هذا الجو الحار .

لقد كان هكذا بالفعل . وشربته " هيلاري" في تلذذ وهي تقاوم رغبتها في أن تبتلعه مرة واحدة . كانت الحرارة الشديدة غير المعتادة بالإضافة إلى شعورها بالخوف قد جعلت فمها جافا تماما . نظرت من فوق حافة الكوب إلى الوجه البارد الجالس امامها . لسبب مالم تتصور أن يصبح هذا الرجل خائفا من اي شيء . ولايمكن أن يفقد سيطرته على نفسه امام اي وضع . كان يستند بخفة إلى الوسائد بظهره بينما ارتفع كما سترته عاليين بعض الشيء كي يكشفا عن رسغين قويين بنيي اللون ويدين حسنتي التكوين . وضع ساقا فوق ساق بلا اكتراث مما جعل قماش البنطلون الغالي الثمن يلتف كاشفا عن حذاء فاخر بينما ارتدى قميصا بلون الكريم وربطة عنق حريرية . احست فجاة بان عينيه مركزتان عليها ، وكان يحس تماما بمدى جمال زيها الخاص . لقد سبق أن نصحتها " سالي " بان ترتدي شيئا جذابا انثويا إذ إن " إميليو " المحصن له نقطة ضعف امام النساء الجميلات. وعليه فإن الجيب القصير الضيق والصديرى العلوي الذي حصر صدرها وابرزه قد اديا مفعولهما ، ولكن من الواضح أن رجلا مثل "إميليو " لايمكن أن يلتهم الطعم .

كانت تحس تماما بالنظرة الداكنة التي كانت تدور في وقاحة حول جسدها واستدارة ساقيها وكتفيها الرائعتين ثم توقف كي يركز نظره بحدة على شفتيها البارزتين بابتسامة واسعة :

- إذن ماهي مهمتك إذا كنت تقولين إنك لست في إجازة ؟

كانت هذه احسن طريقة ودية لفتح الحديث معها . وضعت " هيلاري" كوبها وقالت :

- ربما مددت إجازتي إلى عطلة . ولكن لا كما قلت لك إن ذلك ليس السبب في وجودي هنا .

رفع حاجبيه مستغربا وقال :

- لقد فهمت انك اتيت للقائي .

هزت رأسها بالإيجاب وعيناه السوداوان تفحصان وجهها . ورغم سلوكه الهادئ إلا انها احست بنوع من العداء يشوب ذلك السلوك . كان يعلم تماما سبب حضورها ولكن لأسباب تخصه هو كان يحاول ان يجعل مهمتها صعبة إلى اقصى حد .

سلكت حلقها ودخلت في الموضوع مباشرة :

- لقد حضرت إلى هنا للحديث عن " سالي " .

بدت الدهشة في صوته وهو يكرر اسم " سالي " .

- " سالي " اختي !

ابتسم ابتسامة مركزة وقال :

- اعرف من هي . إنها متزوجة من ابن عمي .

لوى شفتيه ونجح في ان يوحي بان هذه الحقيقة لا تسره على الإطلاق . مد يده وتناول كوبه الذي لم يلمسه ثم رفعه ببطء إلى شفتيه وقال :

- على اي حال اخشى انك اسات اختيار موعد زيارتك . لقد تركت الجزيرة منذ عدة ايام مضت .

كان يلعب معها لعبة ما . إنه يتلاعب بها . كلما تخطو خطوة إلى الأمام يتمكن من ان يدفعها خطوتين إلى الخلف . تخشبت " هيلاري " في مقعدها ونظرت إليه مباشرة !

- اعرف ذلك . إنها مقيمة معي في " لندن " في اليومين الماضيين وانا لم احضر إلى هنا لاقابل " سالي " لقد اتيت كي اتحدث معك .

اخذت نفسا عميقا ثم اندفعت في تكملة الحديث قبل ان يصيدها ويوقعها في الفخ مرة اخرى :

- لقد فهمت منها ان " انطونيو " اخذ " جينا " بعيدا .

رفع حاجبا اسود مرة اخرى وكان المعلومة جديدة عليه :

- هل الأمر كذلك ؟

اخذ يحتسي الشاي ببطء ثم وضع الكوب على المائدة :

- وما هو الأمر غير العادي في ذلك ؟ إنه والد الطفلة على اية حال والرجل يجب عليه ان يعتني بابنته في اثناء غياب امها خلال نزهتها

في لندن .

ظلت فترة غير متاكدة مما إذا كانت ماتلاحظه في لهجته هو عدم اهتمام بارد او مجرد عدم اهتمام فقط .

ومع ذلك كان من الصعب ان تصدق ان "واكورماك" هو رجل سهل في اي امر من اموره . كانت قد استنبطت بالفعل انه رجل غرائزه قوية ومحسوبة كطائر البراري الذي يحمل اسمه وهو الصقر ، لقد اصبح من السهل شيئا فشيئا فهم لماذا كانت "سالي" تكرهه ؟ شرحت وهي لا تدع مجالا للشك :

- اعتقد انك لم تفهم ، إن الموضوع ليس مجرد رعاية "انطونيو" لابنته ، لقد انتزعها من امها . لقد حدثت معركة بينه وبين "سالي" وقد انتهى الزواج بينهما واختي تريد استعادة ابنتها .

والتقت عيناه الباردتان بعينيها وقال :

- إن الأمر يبدو ماساويا بعض الشيء لي ومسرحيا . إن المعارك بين الأزواج امر مالوف ، بالتاكيد إن الأمر قد تجاوز الحد بعض الشيء إذا ما افترضت ان الزواج قد انتهى .

- ليس بالنسبة لأختي ، إنها تقول إنه انتهى تماما .

حاولت "هيلاري" ان تكبح جماح عواطفها وان تشرح الدور الذي لعبه وادى إلى هذه الحالة المحزنة ، في هذه اللحظة ، إنها تحتاج إلى اية وسيلة كي يصبح في جانبها فكررت ما سبق ان قالته :

- "وسالي" تريد استعادة طفلتها .

ظل فترة لا يقول شيئا وإنما استمر في النظر إليها بعينين راغبتين مفضوحتين ثم سال اخيراً :

- إذن لماذا اتيت إليّ ؟

- إن "سالي" تظن انك ربما تعرف مكان "انطونيو" وانك قد تستطيع ان تقنعه بان يعيد "جينا" إليها

هذه المرة لم تخطئ السخرية في صوته وهو يسال :

- هل هي حقا تعتقد ذلك ؟ لماذا إذن لم تتصل بي بنفسهابدلا من الطيران إلى "لندن" وإرسالك إلى هنا بدلا منها ؟.

قررت "هيلاري" ان تتماشى مع اسلوبه :

- لأنها ظنت انه من المحتمل اكثر ان تصغي إلى . إن اختي متضايقة للغاية كما يمكن ان تتوقع . إنها تريد ان تستعيد ابنتها بدرجة يائسة .

اتى بحركة تدل على نفاد الصبر وبدا صوته جافا ووقحا وخاليا من العاطفة - ولكني اخشى ان تكون رحلتك بلا جدوى . ليس لدي اية فكرة عن مكان ابن عمي .

- هل انت متاكد ؟

- هل تريدين ان تتهميني بانني كاذب ؟

ابعدت نظرها على الاقل عن وجهه فهي لا يمكن ان تتجرا وتتهمه بذلك . حذرها قائلا :

- حسنا ... إن ذلك عمل غير حكيم للغاية منك !؟

تمالكت "هيلاري" نفسها وقالت :

- ولكن بالتاكيد في إمكانك ان تحدد مكانه إذا اردت

- ولماذا اريد ان افعل ذلك ؟

- لقد اخبرتك انه اخذ "جينا" وليس من حقه فعل ذلك .

امسكت عيناه بعينيها في ثبات وهو يرد :

- إن له كل الحق . إنه والد الطفلة وهو ما اكرره عليك .

كان تجاهله وعناده البارد قد بدا يؤثر على اعصابها كانت محاولة الحديث معه بالمنطق كضرب راسها في الحائط ولكن من اجل "سالي" ضغطت على اعصابها وحاولت مرة اخرى

- واليس من حق الام ان تحصل على طفلتها ؟ إن "سالي" لا تعلم حتى مكان طفلتها "جينا" .

- وهل تظن ان طفلتها في "لندن" ؟

فاجاها السؤال فاجابت :

- لا .

- إذن إن كانت اختك مهتمة بابنتها وشؤونها فلماذا ذهبت إلى "لندن" ؟

- كما قلت لك إنها مضطربة . لقد طارت إلى "لندن" كي تقنعني بان احضر واتحدث معك . ويمكنني القول لكي آخذ منك استشارة قانونية.

رفع "إميليو" احد حاجبيه قليلا وابعد التهديد بابتسامة

- إن هذا عمل لا جدوى من ورائه . ودعيني اذكرك إن الطفلة مواطنة اميركية ولدت في اميركا من اب اميركي وام موطن إقامتها في السنوات الثلاثة الماضية في اميركا ايضا .

ابتسم لها ابتسامة اغاظتها واكمل :

- لست اجد اية معونة مفيدة يمكن ان تحصل عليها من محكمة إنجليزية .

انحنت "هيلاري" نحوه وهي تشعر ببعض النصر الضئيل ،

- إذن انت تعترف بان انطونيو قد اختطف "جينا" ؟

لم يهتز على الإطلاق وقال متسائلا :

- اعترف ؟ إنني لست الماثل امام المحكمة حاليا على اية حال واي نزاع سيكون بين ابن عمي واختك . والأمر يرجع إليهما لتسوية الخلاف بالطريقة التي تناسبهما .

- إذن انت ترفض ان تساعدني ؟

- بالضبط إنه امر عائلي خاص وليس من حقي التدخل فيه .

نظر إليها نظرة متاملة ونهض فجاة على قدميه .

إن ماكان يقوله بالضبط إنه امر يخص عائلته هو وانها هي التي يجب الا تتدخل . ضايقها غروره فلم تستطع ان تمنع نفسها من ان تقول فجاة :

- وفقا لما قالته اختي فإن ما تقوله ليس من طبيعتك لقد اخبرتني ان المعتاد انك تتدخل في كل شيء .

- هل قالت ذلك ؟

كان واقفا اعلى منها وقد وضع يديه في جيبي بنطلونه وقد ضاقت عيناه في تهديد وهو مقطب نحوها واكمل :

- إذن يبدو واضحا ان لدى اختك موهبة في لي الحقيقة . لو اردت التدخل لرحلت من هنا منذ وقت طويل .

نظر إليها نظرة ساحقة ونهائية واستدار وهو يقول :

- إنني اود ان انصحك الا تاخذي قصتها بجدية وإنما بمزيد من الحذر . اخشى ان تكون كاذبة .

حملقت "هيلاري" إليه وقالت :

- حسنا ... هناك امر واحد أؤكده لك ؟ إنها قالت الحقيقة الكاملة عنك .

تجاهل ملاحظتها وذهب إلى النافذة وظهره لها وهو ينظر إلى الخارج ثم قال لها دون ان يستدير :

- اعتقد اننا قتلنا الموضوع بحثا . واقترح عليك ان تعودي الآن إلى فندقك وتحزمي امتعتك وترتبي امرك كي تلحقي باول رحلة طيران من "سيشيلي" إلى "لندن" .

قبل ان تتمكن من الإجابة استدار نصف دورة إذ ظهر المنظر الجانبي لوجهه - عكس النور - وقد ظهرت خطوط التقاطيع الجادة الحية لحاجبيه وانفه وفمه القاسي الحازم وذقنه تلك التقاطيع العدوانية وقال :

- ليس هناك حق ما يبقيك هنا .

طرفت بعينيها قليلا ثم سالته :

- هل تلقي بي خارج الجزيرة ؟

ابتسم وهز كتفيه في احتقار وهويرد :

- هل يمكن ان اكون غير متحضر إلى هذه الدرجة ؟ .

- لا ، إنني اوضح لك فقط انه في حالة فشلك في ان تكتشفي الأمر بنفسك فإن مهمتك الرحيمة قد انتهت واؤكد لك ان بقاءك هنا مضيعة للوقت .

رفعت "هيلاري" ذقنها امامه في تحدٍ :

- هذا امر لا يزال يحتاج إلى إعادة نظر ، ربما لا تكون الشخص الوحيد فوق الجزيرة الذي يستطيع مساعدتي وربما ابدى الآخرون تعاونا اكثر منك .

اطبق شفتيه الرقيقتين كعلامة تحذير بينما لمعت عيناه غضبا ، احست "هيلاري" بمعدتها تتقلص وهو يدير عينيه كي ينظر إليها . بدا فجاة خطيرا ولكن في الدقيقة الاخيرة بدا انه يتراجع وقال وهو يهز كتفيه :

- انت حرة ، عادة ما اتناول الغداء الآن ...

تمالك نفسه مرة ثانية ونظر إلى اسفل بسرعة في ساعته الرقيقة الذهبية ثم اكمل :

- يمكنك ان تنضمي إليّ إذا لم يكن لديك خطط اخرى كانت اكثر الدعوات إلحاحا.

فقد احست بحاجتها إليها لقد دعاه ادبه وحسن تربيته ان يدعوها إلى الغداء فكانت تعرف انه يفضل لو رفضتها ، اما من ناحيتها فلم يكن لديها ادنى رغبة في ان تقضي لحظة اكثر من ذلك بصحبته ، ولكن مشاعرها الخاصة لم تكن لها اولوية الإلحاح الآن . من اجل "سالي" يجب عليها ان تواصل المحاولة إلى جانب انها من الواضح انها مست وترا حساسا عندما هددت باللجوء إلى مساعدة الآخرين في الجزيرة . لابد ان إميليو لن يحب ذلك.

إن الغرباء الذين يتورطون بالتدخل في اعمال الأسرة لايمكن ابدا ان يسامحهم او يسمح بتدخلهم .

قررت انها ربما استطاعت ان تستخدم ذلك التهديد للمناورة معه كي يتعاون معها . إنها ضربة محكمة ، ولكنها تستحق المحاولة . ابتسمت له ابتسامة جافة

- ليس لدي اية خطط اخرى ويسعدني ان انضم إليك في الغداء .

راقبته من اسفل اهدابها وهو يمد يده ليتناول الهاتف من فوق المكتب ويتحدث باميركية سريعة . لقد بدا "إميليو واكورماك" بالنسبة لها رجلا معقدا وبدون رحمة . إنه ، ليس مهذبا ولا ارستقراطيا رقيقا رغم اللقب القديم الذي يحمله .ولا عجب في ذلك ، فإنه في الوقت الذي انحدر فيه نبلاء القصر القديم إلى الحضيض والفقر نجد في ايامنا هذه وهو لم يتعد الرابعة والثلاثين من عمره قد بنى لنفسه إمبراطورية نقل بحري اضافت إلى اسم " واكورماك" شهرة وثراء لم يحلم بهما احد . ومن المدهش انه كان يخلق عداء شديدا بسلوكه مع الناس . وضع سماعة الهاتف واستدار نحوها وقال :

- بعد عشر دقائق ... يمكننا ان نتناول المشهيات .

في اثناء ذلك عندما اومات موافقة ونهضت عبر الحجرة نحو الباب عند .. اقصى ركن الحجرة ووقف في ادب جانبا كي يدعها تمر امامه

نحو الحجرة الملحقة الصغرى . قال لها :

- عادة ما آكل هنا عندما يكون لدي عمل واتعشم ان تغفري لي عدم اتباع الرسميات .

كانت مائدة صغيرة قد اعدت لهما في الشرفة التي تطل على منظر رائع للخليج لذلك كان قبولها دعوته للغداء امرا مفروغا منه قبل ان يوجه إليها الدعوة احست بنوبة من الضيق والتوتر فنظرت حولها ولكن مفرش المائدة الفاخر وادوات المائدة الفضية اللامعة والكؤوس العالية من "الكريستال" كلها لاتوحي إطلاقا بعدم الرسمية . وكذلك الحجرة وديكوراتهاذات الذوق الرفيع . وجدت نفسها تتساءل وهي شبه مرتبكة ماذا في كتاب حياة "إميليو" يمكن الا يعد عظيما ؟

تحرك نحو إحدى الخزانات الموجودة في احد الجدران حيث رصت مجموعة من الزجاجات بطريقة خفية . راقبته إلى ان ملا كاسين إلى منتصفهما بالثلج وبسائل ذهبي غامض وغريب واخبرها انه مشروب محلي ثم ناولها إحدى الكاسين قائلا :

- اتعشم ان يناسب ذوقك .

هزت راسها موافقة . كان مرا كما يوحي بذلك اسمه "الحب" ولكنه كان مقبولا . احتسى "إميليو" جرعة كبيرة ثم سالها في محاولة لفتح الحديث !

- إذن خبريني متى وصلت إلى الجزيرة ؟

- الليلة الماضية .

- واين قضيت ليلتك ؟ .

- في بنسيون "روترا" .

رفع أحد حاجبيه في دهشة :

- إنه مبني على نظام اسبرطة وهو يعبر تماما عن فندق النجوم الأربعة الذي اقامت فيه "سالي" و "انطونيو" حفل الاستقبال .

قطبت في وجهه وهي ترد: - إنه يناسب حاجتي تماما .

نظر إليها نظرة فضولية وقال :

- لقد كنت اظن ان خطيبك يفصل لك مكانا افضل .

خطيبها ؟ اعطتها الكلمة إحساسا غريبا سرى في سلسلة ظهرها .

لقد صحبها "رودي" إلى حفل الزفاف ولم تكن بالتاكيد تتوقع ان يتذكر "إميليو" هذه المعلومة تنهدت داخليا . يا له من زمن طويل لقد بدا "رودي" في تلك الفترة من حياتها وقد اصبحا وكانهما في عالم اخر . اجابت بسرعة :

- لم اعد انا و"رودي" مخطوبين . لقد حضرت إلى هنا بمفردي .

- فهمت !! إذن الخطوبة قد فسخت ؟

كان ينظر إليها عن قرب بعينيه السوداوين الثاقبتين . خفضت "هيلاري" نظرها بطريقة غريبة وهي لا تريد الاستمرار في الموضوع .

- من حوالي سنة في عيد ميلادي الحادي والعشرين .

- لابد أن الحدث بدا ينسى واحسست بحاجة إلى الحركة والتقدم إلى الامام وممارسة تجارب جديدة .

انتبهت لقسوة صوته . حملقت إليه وهي تحس بالحرارة تصعد إلى خديها عندما مسحتها عيناه الداكنتان من قمة راسها إلى اخمصي قدميها وكانهما تجردانها من ملابسها وهي في مكانها واقفة وبدا كانه اغتصبها في نظرة واحدة ثم القى بها جانبا ، ذهلت للحظات وكانها تدافع عن ممتلكاتها واجابت وهي شبه معتذرة

- لقد انتهت العلاقة وهذا كل ما في الامر .

- إنكم ايها الإنجليز تاخذون العلاقات والالتزامات باستهانة بالتاكيد .

احست بشيء داخلها ينفجر . لقد كان مخطئا وليس من حقه ان يتحدث بهذه الطريقة . توترت اصابعها حول الكاس . وحملقت عيناها إليه في كراهية شديدة وقالت :

- وانت ومن هم على شاكلتك لستم سوى انذال بوجهين . إنك تدعي انك تهتم كثيرا بعائلتك ولكن الامر يختلف تماما عندما توضع موضع الاختبار عندما تختطف طفلة في سن الثمانية عشر شهرا من والدتها لا تظهر اي اهتمام وكانها حجر او كلب .

زاد التعبير على وجه "إميليو" خطورة فقد توتر فمه الواسع وتعمقت الخطوط حول فكيه .

ولكن "هيلاري" لم تكن لترهب وتتوقف في منتصف الطريق . كان من الصعب إثارة غضبها ولكنه تمادى ، صاحت بصوت هادر وهي تخرج كل كلمة على حدة - لهذا السبب بمعونتك او بدون معونتك فإنني انوي ان اجد ابنة اختي واعود بها إلى انجلترا حيث يوجد اناس يعنون بها حقيقة .

خطا خطوة إلى الأمام ثم مال نحوها مهددا

- لن يحدث ذلك ابدا ... ابدا ! وثقي في كلمتي .

اصرت على موقفها وقالت !

- بل سيحدث .... نعم سيحدث .

- لا ... ابدا ... إطلاقا .

كان واقفا قريبا منها جدا حتى انها احست بحرارة الغضب داخله وبدا يثور عليها من جسده الفارع ومع ذلك احست بالبرد يسري في جسدها عندما التقت عيناه بعينيها ؟ عينان قاسيتان غير مهادنتين وكانهما قدتان من الصلب . سالها وهو يتقهقر إلى الخلف :

- وهل اخبرك لماذا ؟ لانني يا عزيزتي ساعمل بنفسي على قتل تلك الطفلة قبل ان اسمح بان تسلم إلى عائلة من الرعاع .

الفصل الثاني

كان ما قاله بمثابة صفعة لها . شهقت "هيلاري" احتجاجا وابتعدت بسرعة عنه وقد شحب خداها من الشعور بالمذلة بينما علاوجهها تعبير من الغضب .

- كيف تجرؤ ... ؟

ولكنها قوطعت حيث فتح الباب في هدوء ودخل خادم في زي رسمي الحجره يدفع امامه عربة مغطاة باطباق فضية وزجاجة شراب ابيض وسط إناء ثلج .

قال بهدوء وكانه كان يتحدث مع ضيفته عن الجو.

- اه لقد وصل الغداء . هل يمكن ان نجلس ؟ .

اشار "إميليو" نحو مائدة صغيرة وسط الشرفة المفتوحة . حاولت "هيلاري" ان تضبط اعصابها فضمت قبضتها . كانت ترتعد في داخلها بعنف . احست بانها كالفراشة من شدة الغضب الجامح وبشيء من المرض . حملقت بغيظ وكراهية وحشية في ذلك الوجه المتمالك الداكن، الذي يرتدي حلة قاتمة اللون . لقد قال عن اسرتها

www.rewity.com

إنهاأسرة من الرعاع ماذا كان يقصد بذلك بحق السماء سحب مقعدها بادب جم وهو يقول :

- أرجوك ... اسمحي لي ! .

استطاعت "هيلاري" بجهد شديد أن تستدير وتخرج من الباب . إنها لا تستطيع أن تتحمل ذلك من أجل "سالي" . جلست وهي متصلبة تتجنب نظراته .

ردت عليه في سخرية :

- شكرا لك .

رفع الرجل الذي كان يرتدي زي السقاة غطاء من فوق إناء فضي وأعلن بالأميركية وهو يكشف عن مجموعة من الجمبري والمحار والكابوريا في صلصة الطماطم ويقدم طبقا لـ"هيلاري" :

- فواكه البحر .

ترجم لها "إميليو" قائلا إن طعام الغذاء قد قدم مبكرا .

وضع فوطته فوق حجره عندما دار الرجل حول المائدة وقدم له الطعام ثم قال لها :

- إن البحر حول الجزيرة يزودنا بالإضافة إلى إنتاج مزارعنا بكل ما نحتاج إليه من طعام ويمكن القول إن لدينا اكتفاء ذاتيا .

اجبرت "هيلاري" نفسها على أن تنظر إليه وتبتسم له ابتسامة جافة ردا عليه . إن الاكتفاء الذاتي إحدى الصفات التي لا تجد صعوبة في أن تنسبها إليه بل بالعكس فإنه يستطيع أن يطير مثل سميه الصقر بمفرده وينفرد برايه ويوفر حاجاته بقوة وبلا كلل . ابتسمت له ابتسامة مزيفة . وقالت :

- كم هو لطيف منك ! .

بدا السرو يتلاعب فوق وجهه وقال :

- نعم . إنني أجد أن حياتي مرضية .

عندما صب الساقي الشراب شكره بالأميركية وطلب منها أن تاكل ، كان الأكل آخر ما تحس الرغبة فيه ، فعلى الرغم من مظهرها الخارجي الهادئ كانت معدتها تتقلص واحست بفمها جافا . اخذت تحملق إلى طبقها دون حركة وانتظرت إلى أن خرج الرجل من الحجره ثم رفعت

عينيها ببطء نحو "إميليو" وقالت له في صوت بارد :

- والآن اكون شاكرة لو شرحت لي هذه الملاحظة

اخرج محتويات محارة من غلافها ونظر إليها في تجاهل :

- واية ملاحظة بالذات تشيرين إليها ؟

- انت تعرف تماما ما هي تلك الملاحظة واود منك ان تشرح بالضبط ماذا تعني بها .

اخذ يمضغ المحارة وهو يفكر ثم ابتلع جرعة من الشراب

- لا ارى أن هناك ما يحتاج إلى الشرح إنني اشير إلى أختك ... إن اختك مبتذلة الا تعرفين ذلك ؟

انسحب الدم من وجه "هيلاري" لشعورها بالذل والمهانة . إذن لقد كانت لديه الجراة كي يكرر كلامه . حاولت مقاومة رغبتها في ان تلقي محتويات طبقها في وجهه فقالت له في لهجة اتهام :

- ياله من امر منكر تقوله ويالها من اكذوبة . باي حق لك ان تقول ما قلت ؟ .

هز كتفيه بلا اكتراث وقال :

- حق شخصي لاحظت بعض مظاهر معينة في سلوك أختك وانتهيت إلى نتائج واضحة .

كان يتكلم وكانه يقر حقيقة واقعة وهو ما زاد من حدة الإهانة . تحدثه " "هيلاري" الغاضبة:

- وماذا لاحظته بالضبط ؟

استرخى على ظهر مقعده وقال لها مؤكدا :

- الكثير جدا وكل ما لاحظته لم أحبه حتى قبل ان تتزوج من "انطونيو" في اول صيف قضته في "ميلانو" كنت استطيع ان اعرف اي نوع من الفتيات هي . إنها نوع من الفتيات اللاتي يحببن انفسهن واللاتي لا يكفيهن اهتمام رجل واحد . إنها تصبو دائما إلى نيل الإعجاب المستمر والمراهنة من كل رجل يعترض طريقها . لقد حذرت "انطونيو" ولكن دون جدوى .

فكرت "هيلاري" في مرارة . إنه إذن بدا تدخله من البداية المبكرة . إن المسكينة "سالي" لم تجد اية فرصة للمقارنة . شدت ذقنها في حركة

دفاعية وقالت :

- إن ما تقوله يدعو إلى السخرية . إن شقيقتي مغرية للمغازلة ولكن ذلك ليس بضار ولا يمكن ان تدخلها في زمرة من تتهمها بهم .

- ربما الأمر كذلك . إن الغزل والمعاكسة " عادة لا يكونان ضارين .

لمع في عينيه العميقتين بريق من التسلية والتحدي عندما فحص وجهها. احست "هيلاري" فجاة بتوتر شديد يسري في حلقها وبالم حار في صدرها مما جعل شعرها يقف . خفضت عينيها بسرعة عندما استمر "إميليو" في حديثه .

- إن المغازلة جزء من عملية معقدة ومن لغة غير منطوقة تجري باستمرار بين الجنسين . وهي في معظم الاحيان غير ضارة وغالبا ما تكون مسلية وممتعة وكل منا يقع فيها من ان لآخر .

بلعت ريقها وسالت :

- لماذا إذن انت قاس مع "سالي" ؟

- لانه مع "سالي" فإن الأمر لم ينته عند هذا الحد .

- وماذا يعني هذا التلميح ؟

تنهد ثم مرر اصابعه الطويلة على ذقنه وهو يفكر :

- وانت تعرفين ان ابن عمي يعمل عندي واحيانا ماتضطره واجبات العمل إلى الابتعاد عن "ميلانو" وغالبا عن الأراضي المملوكة و إلى الخارج "وقبل مولد ابنتهما" كانت اختك غالبا ما تصحبه ولكن بعد ذلك اصبح ذلك غير ممكن . وقد كرهت اختك ذلك . إنها لم تكن تتمتع بتركها في المنزل . دعينا فقط نقل إنه في غياب زوجها وجدت طرقا اخرى لتسلي نفسها .

حملقت إليه "هيلاري" . إنها لم تحب ما كان يوحي به حديثه .

قالت :

- اتعني انه كان لديها الجراة لمتابعة حياة اجتماعية من نوع خاص ، حتى عندما كان "انطونيو" في الخارج . ماذا كنت تتوقع منها ان تفعل ؟ ان تجلس في المنزل وتلمع الفضيات طوال اليوم ؟

استدارت شفتاه الجميلتان في ابتسامة مسلية :

- اشك كثيرا ان شقيقك كانت تطلب ان تفعل هذا العمل اليدوي .

وعلى اية حال انا افهم وجهة نظرك ولم اتوقع ان تغلق المنزل على نفسها كالراهبة في اثناء غياب زوجها .

حلت نظرة قاسية محل الفكاهة في عينيه وهو يركزهما عن عمد عليها واكمل .

- لم اتوقع ايضا ان تسري عن نفسها طوال الليل في منزلها .

شحب وجه "هيلاري" وقد اهتزت تماما من الصدمة تساءلت هل يمكن ان يذهب إلى اعمق الاعماق من اجل ان يشوه اسم شقيقتها ؟ نظرت إليه وقالت :

- لا اعتقد ان ما تقوله صحيح ولا اصدقك .

انحنى إميليو" إلى الأمام في مقعده وقد طرفت عيناه في امتعاض :

- هذا بالتاكيد من حقك .

ثم انهمك مرة اخرى في الطعام وهو يقول :

- لقد شرحت لماذا دعوت اختك المبتذلة ولماذا لا اشعر بالارتياح والرغبة في مساعدتك في مساعيك لاستعادتها ابنتها .

اشار فجاة نحو طعامها الذي لم تمسسه وقال :

- اقترح ان تتركي الموضوع جانبا وتاكلي ... " إن الطعام البحري لا طعم له إذا ما برد .

مهما تكن شهية "هيلاري" مفتوحة من قبل فقد انسدت الآن . حملقت بغضب مكتوم إليه واتهمته في مرارة :

- كان لابد لي ان اعرف انك ستعمل مع "انطونيو" على الإطاحة بالموضوع . لقد اخبرتني "سالي" من تكون ، ولكن دعني اقل إنني لاصدق كلمة واحدة من كل ما قلته عن "سالي" . إنك تخترع ذلك كي تبرر الاحتفاظ بابنتها بعيدة عنها.

- إنني لا اخترع شيئا وصدقيني إنني لن اضيع مجهوداتي في التجني على الآخرين من امثال اختك .

نظرت إليه نظرة قاسية وقالت :

- كيف يمكن ان تساند رجلا يخفي ابنته بهذه الطريقة الشيطانية ؟ بالتاكيد حتى انت لابد ان تعتبر ذلك عملا ممجوجا وحقيرا .

نظر إليها في ثبات :

- حقيرا ؟ إنني لا يمكن ان اسميه هكذا بل على العكس يمكنني القول إن اي رجل يكتشف ان زوجته تتصرف بهذا السلوك الشائن له الحق في إبعاد ابنته عنها

- إذن ماذا تقترح وتلمح بهذا الكلام ؟ ان "انطونيو" اكتشف سوء سلوك زوجته المزعوم فابعد ابنته من اجل صالحها ؟ هل اخبرته بتلك الاكاذيب كجزء من حملتك كي تثبت انها مجنونة ولديها انفصام .

ضحك "إميليو" ضحكة واسعة وساخرة :

- كما سبق ان قلت لك فإن اختك هي الكاذبة واستنبط من احاديثك حول الحملات التي تزعمتها انها فعلا تعاني انفصاما في الشخصية.

حملقت إليه هيلاري" وهي تتجاهل ملاحظته الاخيرة :

- وفقا لما قالته "سالي" فإن لك نفوذا عظيما على "انطونيو" ويؤمن باي شيء تقوله . ويبدو لي انه ضعيف الشخصية . لم يكن من الواجب ان تتزوجه "سالي" إنها تحتاج إلى شخص قوي .

- كي يجعلها تسير سيرا قويما .

صاحت فيه

- لا ... لست اعني ذلك ! ان اختي تحتاج شخصا يمكنها الاعتماد عليه وهو مالا يتمتع به "انطونيو" .

مسحها بعينيه السوداوين بتعبير غير خفي ثم قال :

- يبدو انه في بعض الاحوال يصعب إرضاؤك انت واختك .

كان يلمح إلى فسخ خطبتها . تحدته بعينيها ان يستمر في الموضوع . إن ما حدث بينها وبين "رودي" امر شخصي للغاية ولا يزال يؤلمها . وليس من حق "إميليو" ان يحاسبها على ذلك . بدا في تلك اللحظة انه غير مهتم بالاستمرار في الحدث . عاد إلى موضوع "انطونيو" :

- مهما يكن رايك الشخصي فيه كزوج ايا كان لايمكنك ان تنكري انه اب ممتاز .

كان "انطونيو" وفقا لآراء "سالي" ابا شغوفا بابنته . على الاقل لم تكن تخشى مع وجود الطفلة في يدي "انطونيو" لا تتمتع بالامان والرعاية . اصرت في عناد :

- هذه ليست المسالة . ليس له الحق ان ينتزع "جينا" من امها. اخذ يراقبها متفحصا وقال بسخرية تشوب صوته :

- ارجو المعذرة ! إنني اظن ان هذه بالذات هي المسالة بالتاكيد فإن سعادة الطفلة ورفاهيتها لها الاهمية القصوى .

قطبت "هيلاري" في وجهه وقالت مدافعة :

- بالتاكيد هذا هو الموضوع . ولكن رفاهيتها يمكن توفيرها من قبل "سالي" ايضا ولهذا انوي استعادتها .

اتى بحركة ملتوية :

- أعتقد انه ليس هناك مجال اكثر من هذا في مناقشة الموضوع وانت حرة في ان تفعلي ما تريدين . ولكن لا تنتظري اية مساعدة من ناحيتي .

- ساتدبر نفسي دون مساعدتك . وكما قلت لك لا انوي ان اقصر تحرياتي عليك . ربما يوجد اناس آخرون في الجزيرة لا يوافقون إطلاقا على مافعلتماه . ظل لحظة لا يقول شيئا ولكن تحذيرا اسود ظهر في عينيه .

- سيري في حذر يا عزيزتي .

لقد اهمل الموضوع إذن ولم يعد هناك اية فائدة ظاهرة من متابعته . وان الكثير ستفقده لوحاولت تعذيب ذلك الرجل وإذا كانت قد تعشمت ان تناوره وتحصره في ركن بالتهديد بالسؤال حوله فإنها تستطيع ان ترى الآن كم كانت الفكرة سخيفة وساذجة . إن إميليو واكورماك رجل غير قابل للمناورة . وكل ما تستطيع ان تنجزه هو إثارة عدائه مما يصعب من مهمتها اكثر .

اخذت تتبع طريقته البارعة في الانتقال من موضوع إلى آخر في اثناء تناول الطعام . واخذت تراقبه من أسفل اهدابها في كراهية . لقد رفض مساعدتها ولكن على الاقل فقد سمح لها ان تفعل كما تريد . ربما لو كانت متكتمة فإنه لن يحاول ان يعرقل تحرياتها ولذلك يجب ان تصبح متكتمة . على اية حال لا يجب عليها ان تعرض للخطر تلك الميزة القليلة التي اتاحها لها .

عندما احضرت القهوة اقترح "إميليو" ان يتناولاها في الداخل :

- إذا لم يكن الجو شديد الحرارة عليك هناك .

- لا .. إنني احب ذلك .

قادها الخادم إلى الشرفة حيث وجدت بضعة مقاعد مطلية باللون الأبيض حول مائدة . عندما جلس "إميليو" على احد هذه المقاعد مدد ساقيه الطويلتين امامه بطريقة عفوية بينما عبرت الشرفة وانحنت على سورها وهي تتمتع بمداعبة نسمات البحر الدافئة وهي تتخلل شعرها الأشقر المنسدل على كتفيها.

اطلقت زفرة ومسحت بعينيها المناظر حولها ووقعت فوق الخليج ذي المياه الزرقاء الصافية ثم انتقلت إلى الجانب الشرقي للجزيرة حيث استطاعت ان تلمح خطا داخليا من الصخور وهو جبل الصقر . ضاقت عيناها وسالت :

- هل هناك صقور حقيقية في الجبال ؟ وهل لهذا السبب سمي جبل الصقر؟

سمعت صوت قدح القهوة فوق الطبق " :

- في يوم من الأيام كان هناك العديد منها . والآن مثل معظم الفصائل في العالم فإن الصقور مهددة بالانقراض ولكننا نهتم بحماية العدد المتبقي . إن الأمر سيصبح ماساة لو فقدت الجزيرة اقدم سكانها وانبلهم .

استدارت نصف استدارة في توجس :

- وماذا تعني بقولك إنك تحرسها؟ لا تقل إنك تحتفظ بالطيور في الأسر.

تركزت عيناها الزرقاوان على عينيه وبدا يبتسم في تحد :

- بعضها . ومن اجل مصلحتها كما تفهمين . لدينا عدد نحتفظ به من أجل التكاثر والتربية وتطلق سراح الأفراخ كي تعيش الحياة البرية . والأمر ليس رهيبا بالنسبة لها فبدلا من وحشيتها الموروثة فإنها تعيش في تعاون طويل وقريب مع الإنسان .

- في الصيد ... اهذا ما تعني ؟

- إن الرابطة بين صقر جيد التدريب وسيده هي رابطة مميزة . وهي

رابطة ترجع إلى آلاف السنين

نظرت إليه نظرة استنكار :

- إنني افضل ان اصف هذه الرياضة بانها وحشية .

- إنها وحشية مادامت الطبيعة نفسها وحشية . إن الصقر صياد بطبيعته يقتل فقط فريسته الطبيعية . وهو قاتل سريع وفعال . إنه يضرب ضربته القاتلة دون ان تشعر بهافريسته .

ساد الصمت . وظلت "هيلاري" تعطيه ظهرها وقد احست برعشة خفيفة داخلها ثم استدارت فجاة بدا وكانه كان يحذرها . احست بقلبها يخفق في صدرها ثم قال لها وهو ينظر إلى اسفل نحو ساعته ببطء :

- إذا سمحت لي فإن الوقت قد تاخر ولدي بعض الأعمال لا تستطيع الانتظار.

عندما استدارت كي تنظرإليه قابلت عيناه عينيها ولم تطرفا وقال:

- عندما تنتهين من قهوتك سارتب الأمور لمن يصحبك لتعودي إلى فندقك .

تناول هاتفه اللاسلكي الموضوع فوق مائدة امامه واضاف وهو ينظر إليها دعيني اكرر النصيحة التي سبق ان اسديتها لك . لا تضيعي وقتا اكثر على الجزيرة واحزمي امتعتك وعودي إلى "كتاينا" واحجزي مقعدا في اول رحلة طيران متاحة عائدة إلى "انجلترا" . إنك لن تحققي شيئا بالبقاء هنا. نظرت إليه متحدية وقالت ردا عليه :

- سنرى !

ابتسم ابتسامة جافة وظل مركزا عليها نظره مهددا

- حقا سنرى .

ثم تحدث في الهاتف بسرعة ، وضع الهاتف وقال :

- إلى جانب انني لا اكاد اظن انه من المفيد لامراة شابة لها مثل سحرك ان تظل هنا دون رفيق

- لا تقلق بشاني . إنني لن اتعرض لاي ضرر فانا متعودة تماما على العناية بنفسي .

نهض ببطء على قدميه :

– ربما ! ولكن تذكري انك لست في "انجلترا" يا عزيزتي فإن امراة فاتنة مثلك قد توحي بنيات غير مرغوبة

ثم اضاف عن عمد وقد مسح جسدها بعينيه :

– مالم تكوني بالتاكيد مثل شقيقتك ، لك ذوق خاص في التجارب العاطفية .

قبل ان ترد منتقمة كان الرجل الذي يرتدي زيا رسميا ذا لونين اسود وازرق قد ظهر في باب الشرفة .

مد "إميليو" يده إليها مودعا وصافحها باختصار قائلا :

– وداعا ورحلة سعيدة .

امسكت "هيلاري" بحقيبة ملابسها وهي تتميز غيظا . لقد كان كل ما قالته "سالي" عنه صحيحا بل إنه كان اسوأ من ذلك مائة مرة لقد كان قاسيا ومغرورا ولا تدل ملامحه على اخلاقه التي يدل عليها اسمه . سارت بساقين مهتزتين وراء الرجل ذي الزي الرسمي عبر حجره المكتب نحو الباب الذي يؤدي إلى البهو وقد احست فجاة برغبة شديدة في الهروب من ذلك المكان العدائي .

احست بان " إميليو" كان يتبعها فوقفت عند الباب ثم قالت من فوق كتفها بسخرية :

– شكرا لضيافتك التاريخية .

ولكن قبل ان ينغلق الباب كانت له الكلمة الأخيرة :

– إن آخر معدية تغادر الأراضي ترحل في منتصف الليل فتاكدي انها لن تفوتك.

لم تركب المعدية الاخيرة . وفي الصباح المبكر اتصلت هاتفيا بـ"سالي" واعترفت لها وهي لاترغب في إغضاب شقيقتها بالكشف لها عن حقيقة ما حدث فقالت :

– لم احرز تقدما كبيرا حتى الآن .

سمعت نواح "سالي" في الهاتف :

– اتعنين ان "إميليو" لن يساعدك ؟ اوه يا "هيلاري" ! يجب ان تكلميه مرة اخرى وتتوسلي إليه . من اجلي ومن اجل الصغيرة "جينا".

– لا تقلقي فسافعل ذلك .

بدت اكثر ثقة مما كانت تحس ، واكملت :

– وفي نفس الوقت فإن كل ما اريده منك هو اسماء بعض الاشخاص الذين من الممكن ان يقدموا لي بعض المفاتيح الإرشادية مثل الاصدقاء والجيران واي شخص تفكرين فيه .

بعد عدة شهقات حزينة ذكرت "سالي" سلسلة اسماء .

– إنهم جيراننا مباشرة على الجانب المقابل .

ثم اضافت اسماء اخرى من اعضاء نادي اليخت من اصدقاء "انطونيو" الذين قد تكون لديهم فكرة عن المكان الذي ذهب إليه كتبت "هيلاري" الاسماء بسرعة على ورقة مفكرة صغيرة :

– سأذهب واقابلهم غدا . وساتصل بك مرة ثانية بعد يومين واعلمك بسير الأمور ، وفي نفس الوقت لا تقلقي فساعيد إليك "جينا" بطريقة او باخرى .

– اه ... شكرا لك يا "هيلاري" . إنني اعرف تماما انه في إمكاني الاعتماد عليك. تمخطت "سالي" بقوة وبصوت مسموع عبر الهاتف ثم تساءلت حول بعض الموضوعات :

– هل انت متاكدة من انك امنة في إقامتك بالجزيرة ؟ من الأسلم ان تبقي في الفيلا .

لم تشك "هيلاري" في صحة قول اختها . إن جزيرة "روزا" ليست مامونة ولا مريحة كفندق "ريتز" مثلا ولكنها رفضت في نفس الوقت عرض "سالي" بنفس المنطق الذي استخدمته معها في "لندن" .

– إنني لا افضل الإقامة في منزلك . فمن المحتمل ان ياتي "انطونيو" في اي وقت . فلا تقلقي علي ، فانا بخير ركزي فقط على ان تظل معنوياتك مرتفعة .

مرت ثلاث ساعات بعد تحذير "إميليو"

واستلقت فوق السرير الضيق غير المريح ثم القت بالملاءة الخفيفة جانبا وسمحت للنسيم الداخل عبر النافذة ان يداعب جسدها . لقد وعدت في اليوم التالي ان تبدا . إنها تستطيع بمساعدة القاموس الاميركي الصغير ان تتابع "جينا" .

ومع ذلك شعرت بان الحل ليس في تلك الفكرة . إن الحل مع "إميليو"

المقيم هناك في "كازاجرندي" الم تخبرها "سالي" في يوم من الايام ان اية ورقة تسقط من شجرة ١٧في الجزيرة إلا ويعرف بها "إميليو" إنه يخفي شيئا عنها واحست بذلك تماما .

اخذت تتقلب في توتر وهي تحملق إلى الليل . هناك العديد من الأسرار والعديد من الأسئلة وحلها جميعا في يد "إميليو" . لقد اصبح من الضروري ان تواجهه مرة اخرى إذا ارادت ان تصل إلى الأعماق . وفي نفس الوقت اغلقت عينيها وابتسمت لنفسها إنها تتمتع دون شك بكونها شوكة في جنبه .

نهضت "هيلاري" في صباح اليوم التالي مبكرة وبعد ان تناولت فطورا مكونا من قهوة "كابتشينو" وكعك في البنسيون . كان اول ما فعلته بعد ذلك هو استئجار سيارة مدة اسبوع كما قالت للرجل ذي الزي الملطخ بالشحوم والزيوت الذي ناولها مفاتيحها . إن مدة اسبوع كافية بالنسبة لها .

بعد ان درست خريطة الطريق بسرعة بدات تتبع الطريق الضيق الداخلي والملتوي والمحاط باشجار الكمثرى واللوز والبرتقال نازلا جبل الصقر إلى الجانب الغربي للجزيرة حيث تقع "فيلا سالي" و "انطونيو" . رات انه لابد من ان تبدا مع الجيران . ولكن كل ما حصلت عليه هو بعض هزات الأكتاف تعاطفا وبدون اكتراث . اخبرتها امراة ترتدي قفطانا بنفسجيا في اعتذار :

- آسفة يا سيدتي . غير موجودين .

الحت "هيلاري" في امل :

- اتعرفين اين ذهبوا ؟ .

ولكن المراة هزت كتفيها ثانية ؟ .

- في عطلة وهو امر اكثر احتمالا .

ثم كررت الكلمات بالإنجليزية كلمة كلمة حتى تضمن فهم السيدة الإنجليزية الغريبة قولها .

ترددت "هيلاري" ان ترحل بخفي حنين فغادرت سيارتها متجاوزة "فيلا" سالي" ثم درات حولها عشر مرات وهي تامل ان تشاهد اي إشارة لـ"انطونيو" والطفلة وقد عادا .. بل إنها تلصصت خلال النوافذ

وهي تبحث عن اي علامة للحياة . ولكن بدا جليا انه لا يوجد احد في المنزل.

بحلول المساء لم تتقدم اية خطوة إلى الأمام . اولا لانها لم تكن قادرة على مطاردة نصف السكان المذكورين في القائمة معها وثانيا لان الباقي رغم ما بدا عليهم من رغبة في المساعدة إلا انهم لم يستطيعوا ذلك .

قررت ان تتوقف اليوم لانها كانت تشعر بالحرارة والإرهاق . على اية حال امامها الوقت اللازم وغدا صباحا يمكنها ان تبدا من جديد .

كانت قد تناولت غداء سريعا فقررت بسبب الجوع وانخفاض روحها المعنوية ان تمتع نفسها بعشاء فاخر .

اختارت مطعما على مسافة غير بعيدة من البنسيون وقعت عليه عيناها في اثناء رحلاتها . ورغم انه كان في طريق جانبي خفي فقد عرفت من اللافتة ان فيه حديقة خلفية حيث تنخفض الحرارة بعض الشيء فقد كان من الممتع ان تتعشى في الهواء الطلق .

كانت معظم الموائد مشغولة عندما دخلت بينما ملا الجو ضجيج الضحك والثرثرة والذي كان دافئا وله عبير جميل ، رغم ان الساقي وجد من الغريب ان تاتي فتاة اجنبية بمفردها إلا انه لم يبدذلك .

تقدمها إلى مائدة هادئة في نهاية الحديقة وابتسم ،

- هنا يا سيدتي .

طلبت "هيلاري" مكرونة إسباجتي وربع زجاجة شراب وجلست وقد اسندت ظهرها لتتمتع بمنظر حي لزوجين وعائلات تجمعوا معا بينما كان السقاة يسيرون ويلوحون كلاعبي الأكروبات بين الموائد المزدحمة.

ابتسمت في رضا . لم تكن هذه بالضبط عطلة ولكن على اي حال كانت ممتعة .

كانت منهمكة في تناول شريحة لحم عندما احست فجاة بعدم ارتياح من عينين تركزتا عليها من مائدة قريبة . استدارت في حذر نصف استدارة ثم عادت إلى وضعها مرة ثانية في الحال عندما وجدت نفسها تنظر في وجه قاسٍ داكن البشرة وعينين عميقتين وشفتين غليظتين في ابتسامة حقيرة .

أحست بالضيق فابقت عينيها مركزتين امامها واحست بعمودها الفقاري يتخشب في حركة دفاعية وشعرت بالشكر لانها اتبعت نصيحة "إميليو" فارتدت رداء قطنيا خشنا وفضفاضا ومغطى حتى رقبتها وكذلك جيبة طويلة واسعة .

ظلت طوال بقية الوجبة تتجنب النظر وهي تامل انها لو تجاهلت ذلك الشخص فإنه سيمل لعبته الصغيرة غير السارة . ولكنه لم يكن من السهل أن ينهزم ، كانت تستطيع أن تحس بنظراته عليها وكانها مخالب مقززة عندما احضر الساقي إناء الفواكه سالته ان يحضر لها الحساب . لقد فسدت امسيتها . كل ما تريده الآن هو ان ترحل .

دفعت الحساب وتوجهت إلى الباب والغضب الجامح يغلي في داخلها . كيف يمكن لبعض مرضى العقول والمنحرفين ان يفسدوا امسيتها بهذه الطريقة ؟ احست برغبة جامحة فاستدارت بسرعة والقت نظرة اتهام وضيق عليه ، ارادت ان يتحقق من مدى كراهيتها التي تحسها نحوه . ولكن قلبها تحرك في عنف والم في صدرها عندما لم تجده في مكانه . كانت المائدة التي كان يجلس عليها منذ لحظات قد اصبحت فارغة .

تركت اضواء المطعم الساطعة خلفها وهي تحس بالقلق . كان لابد لها ان تسير حوالي عشر دقائق في الحواري المعتمة كي تعود إلى بنسيون "روزا" فجاة تمنت لو انها لم تغامر بالسير بمفردها . انبت نفسها بان ما تفكر فيه هو امر سخيف واخذت تسير بسرعة فوق الرصيف . من المحتمل ان الرجل انهى وجبته ورحل في براءة تامة .

ورغم سلوكه السابق فلم يكن هناك سبب على الإطلاق للاعتقاد انه مختبئ في انتظارها . إن كل ما حدث هو من تاثير الحديث الماساوي الذي قاله لها "إميليو" وطبعها بالخوف .

ومع ذلك اوشك قلبها ان يتوقف عندما شعرت بحركة خلف ظهرها ، دارت حول نفسها كالقطة في نفس الوقت لترى ظلا اسود في مدخل الباب بعيدا عن الانظار .. كان هو ... رجل المطعم وكانت متاكدة تماما من ذلك .

أمسك بها الرعب والخوف وبدات تجري واخذت تدعو في خوف

بارد" اوه يا إلهي ! لا تدعه يمسك بي " .

ولكنها تعثرت في إحدى قطع الاحجار وتطوحت في ياس إلى الامام.

تجمدت الدماء في عروقها عندما امتدت ذراعان في الظلام وامسكتا بذراعيها بقوة .

الفصل الثالث

اوشكت ان تسقط بين ذراعيه . انتزعتها القبضة القوية ورفعتها على قدميها بينما انطلقت من فمها صيحة رعب . اخذت تقاوم كالاعمى وهي تحاول بدون جدوى ان تحرر نفسها من القبضة الحديدية حول معصمها ، ولكن كلما زادت مقاومتها ازدادت القبضة شراسة .

كانت تحس بحرارة جسده على جسدها وانفاسها فوق خده وهو يصيح فيها : - ماذا تظنين بحق السماء انت فاعلة ؟

انتعش قلبها فجاة عندما سمعت الصوت العميق ووجدت نفسها تحملق إلى الوجه الاسمر القوي والعينين الشبيهتين بسواد الليل والفم الواسع المنغلق في شدة "صاحت يا" للسماء " وقد احست بموجة من الارتياح المشوب بالغضب تسري في جسدها ، وقالت :

- ماذا بحق السماء تظن انك فاعل بتسللك هكذا ؟

نظر إليها "إميليو" نظرة متوحشة :

- ماذا تفعلين بحق السماء وانت تتجولين في الشوارع بمفردك في

هذا الوقت من الليل ؟ "

استمر ممسكا بها وقامت بمحاولة فاشلة كي تحرر نفسها

- لم اكن اتجول في الشوارع . كل ما هنالك انني كنت في طريقي إلى البنسيون بعد ان تناولت العشاء في المطعم . هل هناك قانون يمنع ذلك ؟ "

كانت تنظر إليه في كراهية . ضاقت عيناه في تاففف :

- أيتها البلهاء ! هل تظنين ان ذلك عمل حكيم ؟ لقد اشرت عليك من قبل ليست هذه ضاحية من ضواحي "لندن"

خفضت "هيلاري" عينيها . كان على حق دون شك ، ولكنها لم تكن على استعداد للاعتراف له بذلك وسالها :

- ومن هذا الرجل الذي كان يتبعك ؟

- لم ترد ان ترضيه بان تعترف له بفضله عليها وشعورها بالارتياح عند رؤيتها له على مسرح الاحداث . حملقت إليه بتحد وقالت مناورة:

- أي رجل ؟ .

استدارت شفتاه في ابتسامة جافة وقال :

- يا عزيزتي ! إما انك كاذبة او انك اكبر مغفلة قابلتها لقد رحل مطاردك الآن في الوقت الذي كنت انا وانت نتصارع ولكن اسمحي لي ان اقدم لك بعض النصائح إذا كنت تصرين على ان تبقي مستقلة . إذن لابد ان تتعلمي ان تكوني اكثر حرصا .

فجاة حرر يدها مما جعلها تتارجح إلى الخلف :

- إنك لا تستطيعين ان تعتمدي دائما على شخص مثلي في متناول يدك كي ينقذك من عثراتك .

دلكت "هيلاري" معصمها وقالت له في غيظ :

- لا تقلق ... إن خدماتك لن تصبح مطلوبة مرة ثانية من الآن فصاعدا. ساكون حريصة ومتشككة .

لو استطاعت فقط ان تبعده عن طريقها . فجاة طرا على بالها سؤال:

- وماذا كنت تفعل هنا على اي حال ؟

رغم انه اطلق سراحها إلا انه كان لا يزال يسد الطريق امامها بطوله الفارع ووجهه المهدد وقد ارتدى حلة رقيقة بلون الرمل . كان قويا عريض الكتفين طويل الساقين وكانت ذراعاه بارزتي العضلات وقد عقدهما فوق صدره وبرز شعر صدره مما كان له رد فعل عنيف عليها .

كانت ملامحه بارزة قوية قال لها:

- لقد اتيت من اجلك .

كانت الجملة لها وقع يثير التشاؤم سالته :

- من اجلي ؟

ابتسم ابتسامة متجهمة ثم قال وهو يشرح :

- هذا صحيح . على اية حال ارجو الا تقعي في الوهم ، إنني لم احضر كي ابحث عنك من اجل متعة مصاحبتك .

نظرت إليه نظرة احتقار لان تلك الفكرة لم تطرا على بالها .

- عندما وصلت إلى "روزا" بحثا عنك اخبرتني صاحبة البنسيون انك خرجت. انتظرتك بعض الوقت وعندما لم تظهري قررت البحث عنك .

قطبت "هيلاري" في وجهه . ربما كان ذلك الوقت يفسر كيف ان وصوله كان مريحا ولكن ذلك لم يفسر لماذا حضر بحثا عنها ولكن قبل ان تسال قال لها :

- على اية حال إنني اعتقد انه ليس من المعقول ان نناقش الامور في هذا المكان العام .

امسك بذراعها دون اي تمهيد وادارها وهو يجرها خلال الشارع الضيق قائلا :

- ستحسين براحة اكثر في سيارتي .

بدات "هيلاري" تحتج ولكنها قررت ان توفر جهدها ايا كان السبب

الذي من اجله حضر "إميليو" فيجب ان تدعه يكشف عنه وبعدها قد يشعر بالرضا ويتركها في حالها .

كانت سيارة حمراء في الانتظار عند الناصية . كان الشارع الذي فيه بنسيون "روزا" لا يتحمل وقوف سوى سيارة واحدة وهو ما يفسر انتظار سيارته عند الناصية . عندما فتح الباب الامامي المجاور للسائق حملقت إلى ماركة السيارة ، ورات لاول مرة علامة " فيراري" . لم يسبق لها ان ركبت مثل تلك السيارة .

غرقت في المقعد الوثير المكسو بالجلد الناعم ونظرت إلى "إميليو" وهو يركب السيارة ويجلس بجوارها .

- الا ترى انك تبالغ بان تستخدم السيارة لمسافة عدة مبان ؟ .

زار محرك السيارة الضخمة عندما اداره ونظر إليها نظرة مسرورة وسالها في مكر :

- ومن قال اننا سنسير عدة مبان فقط ؟

- ولكن بنسيون "روزا" . ...

- اعرف اين يقع البنسيون ولن نذهب إليه يا عزيزتي .

عندما سارت السيارة الكبيرة في هدوء حول الناصية احست "هيلاري" فجاة بنبض مضطرب في حلقها :

- اين ستاخذني ؟

لم يشبع "إميليو" فضولها بالإجابة وبدلا من ذلك قال :

- افهم انك مددت فترة إقامتك في "روزا" اسبوعا .

إذن لقد كان يتحرى عنها فقالت له في سخرية :

- وهل لديك اي اعتراض على ذلك ؟

قال في برود :

- نعم . إنني لا اسمح بذلك .

- لا تسمح بذلك ؟ .

ركزت "هيلاري" على الجملة ولكن قبل ان تستمر في الحديث قاطعها "إميليو"

- إنك قريبة لأسرتي ومهما تكن هذه القرابة بعيدة والصلة متوترة فإنه ليس من المعقول ان تستمر إقامتك في مثل ذلك المكان .

- ولكن بنسيون "روزا" يناسبني تماما وليس هناك ما يدعو إلى ان تهتم بذلك حقا.

- اوه ولكني اهتم ففي اثناء وجودك على جزيرة "ميلانو" ليس من المناسب ان تمكثي في ذلك المكان واختك قبل كل شيء من اهل "واكورماك" مهما تكن هذه الحقيقة مؤسفة .

نظرت إليه نظرة قاسية . إذن لم تكن راحتها هي التي تهمه وإنما فقط كرامة الأسرة . قالت له مقاطعة :

- حسنا . اخشى الا استطيع الانتقال إلى فندق "ميديترينو" ذي النجوم الأربعة .

لم تكن تستطيع ان تتحمل ثمن الإقامة في ذلك الفندق الفاخر ولا ان تسمح له بان يدفع عنها ذلك الثمن إن كان ذلك ما يفكر فيه.

ولكن يبدو ان الأمر لم يكن كذلك وحتى رغم معلوماتها القليلة عن الجزيرة فهي تعلم انهما يسيران في اتجاه غير اتجاه الفندق . بل يتركان اضواء المدينة خلفهما ويتجهان نحو الطريق المهجور داخل الجزيرة فجاة احست بخوف غير معقول يسيطر عليها . هل اختطفت هي الأخرى ؟

ربما استطاع ان يقرا ما يدور في ذهنها لانه استدار كي يطمئنها بشبه ابتسامة قائلا :

- طوال إقامتك ستوضع إحدى فيلات "كازاجراندي" تحت تصرفك . وقد رتبت الأمر لتنتقلي إليها هذه الليلة .

ظلت "هيلاري" لحظات وهي لاتنطق . كان ذلك غير متوقع ،

- ماذا يجعلك تظن انني اريد الانتقال إلى واحدة من فيلات "كازا جراندي" الساحلية .

رد عليها بلا مبالاة :

- سواء اردت ام لم تريدي فإن الترتيبات قد تمت .

فجاة احست بالثورة . لقد تمادى في افتراض خضوعها لاوامره ، قالت له بحدة :

- حسنا ... اخشى انني لن استطيع الانتقال الليلة فجميع امتعتي ومتعلقاتي في البنسيون ، ثم هناك مسالة سداد الحساب .

- لقد اخطات في كلا الأمرين فامتعتك موجودة في حقيبة السيارة وقد جعلت المديرة تحزمها في اثناء انتظاري وصولك .

ابتسم وهو يرفع احد حاجبيه في سرور :

- ولحسن الحظ ليس لديك الكثير من الأمتعة .

- ليس من حقك ان تفعل ذلك ، وماذا عن الحساب ؟

اخذت تعبث في حقيبة يدها في ذل . قال لها :

- انسى هذا الأمر .

- لن انساه

اخذت تحسب بسرعة في ذهنها ودفعت بمجموعة من الأوراق المالية إلى يده . ربما يكون قد انفق اضعاف ذلك على العناية باسنانه مثلا ولكن المسالة مسالة مبدا وضع الأوراق المالية في جيبه كما هي وهو

يخرج بالسيارة من طريق ضيق ثم يعبر بوابة حديدية كانت بالفعل مفتوحة وسار فوق ممر مغطى بالحصى . قال لها :

- لقد وصلنا .

فجاة وجدت نفسها وسط اشجار النخيل في نهاية الممر واستطاعت أن تشاهد "فيلا فاخرة مسطحة السقف وقد زينت جدرانها البيضاء بالنباتات . عندما تقدما بسرعة وصعدا الطريق إلى اعلى رات "هيلاري" سطح البحر . ثم شاهدت فوق الصخرة التي تعلوهما الانوار المتلالئة لقصر "كازاجراندي" . إذن لقد عبرا الجزيرة من الساحل إلى الساحل المقابل ووجدت نفسها فجاة وسط فناء الصقر . ارتعدت قليلا رغم هواء الليل الدافئ . لقد كان من الافضل لها أن تظل حيث كانت .

كانت هناك اضواء تشع من الجهة الامامية في الناحية المواجهة للبحر من الفيلا رفع "إميليو" حقائبها من حقيبة السيارة .الـ"فيراري" وقادها بخطوات سريعة عدة درجات حجرية إلى شرفة متسعة مغطاة بالبلاط ثم مرت عبر الأبواب المصنوعة على الطراز الفرنسي إلى حجرة مضاءة إضاءة باهرة .

نظرت "هيلاري" حولها . كانت حجرة باردة ومؤثثة اثاثا فاخرا وبذوق رغم بساطته . وقد فرشت الأرضية الرخامية بسجاد إيراني . وضع "إميليو" حقائبها في مكان اعتقدت انه المطبخ حيث وجدت رجلا في منتصف العمر وامراة وقد ارتديا الملابس الرسمية لـ"واكورماك" المعروفة باللونين الأسود والأزرق .

قال لها "إميليو" :

- هذه "روبرتا" وهذا "فريدي" إنهما هنا لرعايتك واي شيء تريدينه

فانا متاكد انهما سيسعدان بتلبيته لك .

ثم تحدث بالاميركية ليقدمها إليهما :

- هذه هي ضيفتنا "السيّدة ساليناس" .

استطاعت "هيلاري" من معرفتها لبعض الألفاظ الاميركية ان تفهم انه قدمها لهما على انها الضيفة . اومات في ادب للزوجين وابتسمت في نفسها ابتسامة ماكرة . لتدعهما يظنان انها ضيفة وليست مخطوفة .

تقدم "فريدي" إلى الامام كي يحمل حقائبها بينما كان "إميليو" قد بدا الرحيل وقال وهو ينحني ويبتسم ابتسامة ماكرة لها وهو يستدير نحو الباب :

- إنني اشعر بتردد كبير لانني مضطر لان اتركك . واتمنى لك ليلة سعيدة واحلاما بهيجة .

قبل ان تجد الوقت كي ترد عليه كان قد خرج متجها نحو الشرفة مرة اخرى ثم هبط الدرج واختفى عن انظارها في الظلام مثل اللص في الليل .

وقفت وهي مقطبة تحملق في البقعة الداكنة التي كانت ظله ثم بعد لحظة سمعت سيارة ضخمة تزار ثم تختفي في الممر .

نامت "هيلاري" تلك الليلة كالقتيل . كانت الفيلا مكيفة الهواء بدرجة ممتعة إذا ما قورنت ببنسيون "روزا" كما كان السرير عريضا بملاءاته المطرزة والمريحة لدرجة الإسراف . استيقظت قبل التاسعة مباشرة وهي تشعر تماما بالانتعاش وفي روح معنوية عالية بالنسبة للظروف.

عندما فتحت شيش النافذة شهقت من الدهشة والمتعة . كانت في نهاية الحدائق الخاصة للفيلا والمحاطة باسوار عالية مغطاة بنباتات مزهرة وحولها المياه الزرقاء الرائعة والعميقة . لقد كانت الفيلا على حافة البحر . ابتسمت "هيلاري" في نفسها . لقد كانت كالفردوس .

كانت "روبرتا" قد اعدت الفطور في انتظارها في الشرفة والمكون من عصير الفواكه وفطائر البريوس وإناء كبير من القهوة باللبن . ما إن صبت لنفسها القدح الثاني من القهوة حتى لمحت بركن عينيها سيارتها الصغيرة المستاجرة تحت ظلال الاشجار . لابد ان احدا من قصر "كازا جراندي" احضرها في الصباح المبكر

شرحت لها "روبرتا" ذلك عندما سالتها . قطبت "هيلاري" وجهها . لقد كانت يد "إميليو واكورماك" مشتركة في كل شيء وفي كل مكان على ما يبدو كانت اول مهمة لها بعد الفطور هي الاتصال بـ"سالي" وشرحت لها ما تم بعد ان اعطتها العنوان :

- لقد اتصلت بك فقط كي تعرفي انني انتقلت

بدت "سالي" مسرورة لسماعها الخبر :

- هل تعتقدين : ان ذلك يعني ان "إميليو" يهادن ؟"

كان تفكير "هيلاري" على العكس من ذلك و مع ذلك احتفظت برايها لنفسها وبدلا من ذلك خففت من الخبر .- من يدري ؟ ساظل احاول معه على اية حال .

- شكرا يا "هيلاري" إنني حقا حامدة لك ما تفعلينه ، عندما تعثرين على "انطونيو" اخبريه انني اسفة وانني احبه كثيرا .

وضعت "هيلاري" سماعة الهاتف وهي ساهمة تفكر في العبارة

الأخيرة.

"اخبريه انني اسفة" إذن لقد ندمت سالي " على معركتها الصغيرة ، لقد بدا الامر يبدو وكانها لا تريد ان تسترد ابنتها فحسب وإنما ايضا حدث تغير في قلبها ونحو الزواج وهو امر افضل كما ظنت "هيلاري" وسبب اخر للبحث عن "انطونيو" . لسوء الحظ كانت المكالمتان اللتان اجرتهما من بين قائمة "سالي" دون نتيجة فقالت لنفسها إنها ستحاول مرة اخرى فيما بعد وربما بعد الغداء .

تطلعت إلى الخارج إلى الشمس الساطعة والسماء الصافية وقررت ان تستريح هذا الصباح ثم غيرت بسرعة ملابسها فارتدت ثوب حمام واخبرت "روبرتا" انها ستذهب إلى الشاطئ .

كان الشاطئ نظيفا ومحميا بدرجة ممتعة وقد انتشرت عليه بعض اشجار النخيل . والمعجزة انه لم يوجد اي شخص على مدى البصر . لابد ان هذا الجزء خاص فردت منشفتها تحت ظل إحدى الأشجار ووضعت بجانبها بقية متعلقاتها تحت شمسية ضخمة .

كان قارب صيد صغير مربوطا على حافة الماء على مسافة قصيرة وهو يتارجح في لطف مع الامواج مصدرا صوتا مريحا . تمددت "هيلاري" فوق المنشفة كي تعرض صدرها للشمس . اغلقت عينيها وجعلت افكارها تسرح- في إمتاع - بعيدا . كانت هذه هي الفرصة الاولى والحقيقية كي تسترخي منذ وصولها إلى "ميلانو" عدة ساعات على الاقل وتخزن مشاكلها في عقلها بالتاكيد كان من الواجب ان تعرف اكثر . لقد انتهت من التقلب فوق ظهرها ثم فجاة وقع فوق جسدها ظل بينما سال صوت عميق :

- هل تسمحين لي أن اساعدك في عملك .

اطرقت "هيلاري" وجلست بسرعة . حملقت إليه وقد اصبح خداها في لون ارجواني من الارتباك وصرخت :

- لماذا انت هنا ؟ "

كان "إميليو" مرتديا قميصا ابيض مفتوحا وقد رفع كميه حتى مرفقيه وبنطلونا من القطن مثنيا حتى ركبتيه . بدت بشرته شديدة السواد بالنسبة لزيه الابيض وشعره الكثيف الأسود كجناحي الغراب.

لم يجب عن سؤالها وبدلا من ذلك قال :

- لماذا لا تؤدين حركات رياضية لتمتعي مشاهديك .

كانت "هيلاري" تبحث بسرعة وتمسك بالجزء العلوي من ثوب الاستحمام وهي تحس بحدة نظراته . سالته :

- اي مشاهدين ؟ لايوجد احد هنا .

رفع احد حاجبيه الكثيفين وقال :

- اوه ... لا ؟ إنني اتذكر ما قلته لك في الليلة الماضية

خفض جسده ليجلس في جزء من ظل الشمسية على بعد اقل من ذراع منها واكمل :

- ربما في اكثر المنتجعات فجورا التي تعودت التردد عليها فإن ما تفعلينه يعد متواضعا . وفي هذا المكان البعيد والمتاخر من العالم فإن امراة نصف عارية مستلقية على الشاطئ لابد أن تاتي بالعيون المتلصصة .

رغم انها كانت تشك في صحة كلماته إلا انه وضع يدا في جيب بنطلونه واخرج ملء يده بالنقود وعندما تاكد من انه حظي بكل

انتباهها القى بالنقود في اتجاه القارب . ظهرت بعد لحظات راسان أسودان من داخل القارب وهما يبتسمان ثم يندفعان نحو الرمال حيث سقطت العملات . بعد ذلك انطلقا يضحكان وهما يبحثان في الشاطئ .

لفت "هيلاري" نفسها واحست بسذاجتها . لم تكن تشك انها ستثير فضول الشباب . قالت محتجة :

- لقد ظننت انني بمفردي .

- كما قلت لك من قبل يجب ان تتعلمي ان تكوني اكثر حرصا ، على الاقل كان من الممكن ان تجنبي "فريدي" الحرج إنني متاكد بانه لم يكن ليوافق على ما فعلته ابدا .

كان الخادم قد ظهر وهو يحمل صينية عليها مشروبات . عندما وضع الرجل الصينية فوق منضدة ثلاثية الاقدام وانسحب في هدوء قال لها "إميليو" .

- اخبرتني "روبرتا" انك ستكونين في هذا المكان عندما اتصلت بالفيلا وفكرت انك ربما تحتاجين إلى الشراب.

ناولها كوبا كبيرا من الليمونادة الطازجة والثلج المجروش .

- ربما يستحسن ان ننتقل إلى الظل فليس من الصحي لشخص له لون بشرتك البيضاء ان يظل وقتا طويلا في الشمس .

كان على حق، بدات تحس بالفعل ببعض العلامات التحذيرية . كرهت ان يمد لها يد المساعدة فتجاهلته وسحبت جسدها إلى الظل تحت الشمسية ونظرت إليه بطرف عينها وهي تتناول جرعة من شرابها احست بعدم السرور عندما راته يسحب مقعد الشاطئ ويجلس وقد بدا انه ليس في عجلة للرحيل . بدا وكانه قرا افكارها

فقال دون أن يبتسم :

- أتوقع انك تتسائلين عما افعله هنا .

قاطعته وهي لا تبتسم هي الأخرى:

- في الواقع ، انني لم اكن اتساءل .

كانت قد قررت منذ اللحظة التي وقعت عيناها عليه انه جاء كي يزيد من ضغطه عليها كي ترحل بسرعة .نظر إليها من فوق حافة كاسه وقد ضاقت عيناه وهو يفحص وجهها وقال :

- ولكني ساخبرك على اية حال . لقد سمعت انك تحدثت مع جيران ابن عمي وبعض اصدقائه في نادي اليخت .قطبت "هيلاري" وجهها بطريقة غريبة وتذكرت ما قالته "سالي :عنه من انه لا توجد ورقة شجرة تسقط في الجزيرة إلا ويعلم عنها . كم كانت على حق في ذلـــك.

قالت مدافعة :

- كل ما هناك انني سالت عن مكان "انطونيو" ولم اخبرهم لماذا اسال لقد كنت كتوما تماما .

نظر إليها نظرة طويلة وقال :

- حسنا ! لم تكوني كتوما بما يكفي لقد جاءتني الأنباء مباشرة . لقد حذرتك يا عزيزتي ويبدو أن التحذير الواحد لا يكفي .

ركزت "هيلاري" عينيها عليه بصعوبة :

- إذا ما اخبرتني بكل بساطة اين اجد ابن عمك لما احتجت إلى ان اكون غامضة او كتوما .

خفض بصره ووضع كاسه في الرمال وقال :

- لقد قلت لك إنني لا اعرف مكان "انطونيو" .

أحست بالتوتر من كذبه المفضوح . قالت بلهجة حادة

- إذا اخذنا في الاعتبار انه يعمل طرفك فإنه يبدو جليا انك غير مهتم باختفائه المفاجئ .

مرر "إميليو" . احد اصابعه القوية فوق انفه وهو يفكر :

- صدقيني . إن الملاحة في شركة "واكورماك" لن تتاثر اوتنهار بسبب غيابه . وإذا كان ما في ذهنك هو ما افكر فيه فإنه لايوجد لديك اي سبب للقلق .

نظرت إليه "هيلاري" نظرة سريعة وقاسية وقالت :

- كم هو لطيف ان اعلم ذلك .

فكرت ان شركة الملاحة "واكورماك" مثلها مثل اي شيء في حياة ذلك الرجل لابد ان تدار ويسيطر عليها بواسطته ، إنه لايمكن ان يعتمد على الآخرين . إن مقاليد القوة لابد ان تكون بين يديه في حزم تصلبت والقت بشعرها الأشقر الطويل على ظهرها وتحدته قائلة :

- ولكن ماذا عن "جينا" ، ربما لا تهتم بـ "انطونيو" ولكن ماذا عن ابنته الصغيرة ؟ الا تهتم بما يمكن ان يحدث لها ؟"

نظر إليها "إميليو" نظرة مباشرة :

- اعتقد اننا اتفقنا بالفعل على ان ابن عمي هو اب ممتاز . و هو اب افضل بكثير من اختك كام .

لاشك انه بالنسبة لي من الأفضل ترك الفتاة حيث هي .

- إنني لا اوافق على ذلك .

- إذن اتفقنا على الا نتفق . وتبقى الحقيقة انني غير قادر على

المعاونة . وتصنعين خيرا لو عدت إلى "لندن" باسرع ما يمكن ولاتضيعي وقتك هنا . إنني متاكد من أن لك حبيبا هناك في انتظارك .

نظرت إليه نظرة مثلجة :

- لست ارى ما في داخلك ولكني اود ان اقر بانه لا يوجد حبيب .

بدا دهشا - بالتاكيد ولم يعد لك خطيب يحكم فلا بدان لديك طابورا من الشباب ؟

كانت متاكدة من ليه للكلام إنه كان يهينها عن عمد ، وهو ما كان يفعله من البداية ، فجاة احست بان الكيل قد فاض بها وان لها الأوان ان توقفه عند حده . اخذت نفسا عميقا وقالت :

- لست مجبرة على ان اشرح لك اي شيء عني ولكني اكره تلميحاتك المستمرة . ليس لي عديد من الشباب في حياتي ولم يحدث لي ذلك وإذا كنت حقيقة تود ان تعلم فإن الرجل الوحيد الذي يستحق ان اذكره في حياتي هو خطيبي السابق "رودي"

قابلت عيناها الثابتتان عينيه وقبل ان يتمكن من مقاطعتها سارعت بالقول .

- لقد قابلته منذ اربع سنوات مضت بعد ان تخرج من الكلية مباشرة .

لم ترد ان تقول ان "رودي" لم يرغب في علاقة جادة وبدلا من ذلك اكملت : بعد ان بدانا الخروج معا مباشرة حدث له حادث سيارة قتل فيه شقيقه الأصغر وكان "رودي" هو الذي يقود السيارة . وقالوا إن الحادثة كان نتيجة غلطته . كان ملوما بسبب موت شقيقه . اخذت نفسا عميقا وهي تتذكر الحادثة الرهيبة وما اعقبها من ازمات

وكوارث نفسية :

- احس "رودي" بالفاجعة وتمزق وانهار .

ولكن بسبب ذلك ظلت معه تدعمه وتحاول ان تخرجه من الأوقات العصبية التي مر بها في الوقت الذي انقلبت فيه اسرته عليه . وسردت على مستمعها التفاصيل الرهيبة حول تحوله إلى الشراب وانهيار عمله ومحاولته الانتحار . ولكنها على اية حال حازت كل انتباه "إميليو" . ضاقت عيناه وشد فكيه بينما استمرت في سرد قصتها:

- كان من الطبيعي ان يبدا في الشفاء . ووقتها ازدادت صلتنا قوة وطلب مني الزواج ووافقت .

حذفت من قصتها الفترة العصيبة التي كان فيها قلبه محطما غير مستقر والتي سبقت قراره الزواج منها وان علاقتهما كانت دائما ظاهرة وكانت صداقة اكثر منها علاقة حب . ولكن في الوقت الذي كان من المفروض ان تبتعد وجدت ان من واجبها ان تلتصق به . كان شفاء "رودي" عند هذا الحد ضعيفا وهشا، وإذا ما تركته فلربما انهار مرة اخرى .

كانت تحملق في الرمال وهي تحس بقلبها ينبض بشدة في صدرها وهي تكشف عن ذكرياتها المؤلمة ، رفعت عينيها كي تقابل عيني "إميليو" وهي تحس بالقوة الهادئة المنبعثة من عينيه إلى عينيها ، قال بصوت خفيض .

- لابد ان تعلمي انك لست مضطرة إلى ان تقولي لي ذلك .

ولكنها لسبب ما ارادت ان تقول له ذلك ، عضت على شفتها

واستمرت :

- إنني أريد ذلك . كان قد حدد لزفافنا الأول من سبتمبر وقد عثرنا على منزل للإقامة فيه وفي عيد ميلادي في الأول من مايو تلقيت خطابا بالبريد . كان من "رودي" لقد غير رايه . اخبرني انه سيتزوج بفتاة كان يلتقي بها في السر منذ شهرين . وهكذا انتهى الأمر. ولم أسمع عنه بعد ذلك شيئا .

خفضت نظرها مرة ثانية إلى الرمال ، تساءلت كيف يمكن لها ان تشرح انه ليس قلبها هو الذي تحطم ؟

لم تكن حقيقة تحب "رودي" وإنما الخيانة هي التي كانت قاسية وهي التي جرحتها . فبعد كل تلك السنوات وهي تقف بجواره لم يكن لديه اي شعور باللطف ليقابلها وجها لوجه ، وإنما ارسل لها خطابا من ستة أسطر بالبريد دون كلمة اعتذار او ندم . لقد مات إيمانها بالجنس البشري . ومنذ ذلك الوقت لم يدخل اي رجل حياة "هيلاري" وسادها نوع من عدم الراحة كرد فعل للوقت الذي ضاع من حياتها . تخلت عن عملها الدائم واخذت عملا مؤقتا وقد ساعدها التحدي الدائم للتغيير على أن يبقى ذهنها مشغولا . نظرت إلى "إميليو" وقالت :

- وهكذا ترى أن حياتي الخاصة بعيدة تماما عن الاستهتار خالية من المرح والبهجة .

ظل فترة طويلة لا يقول شيئا وإنما استمر في الحملقة إليها بعينيه السوداوين الثاقبتين ثم قال اخيرا :

- إذن لقد اضعت ثلاث سنوات من حياتك في العناية برجل لا يستحق التراب الذي تسيرين عليه والآن تعيدين نفس العمل الساذج

مع أختك التي لا تستحقه .

هزها رد فعله . لم يبد أي تعاطف وإنما عداء سافر بدا في صوته:

- ما هذا يا "هيلاريا" هل تتمتعين باستغلال الناس إياك ؟

سرى في داخلها عاطفة غريبة مع الشعور بالمهانة لقد كانت هذه هي المرة الأولى منذ سنوات طويلة ان يدعوها احد باسم "هيلاريا" .. احست بالخجل دون سبب معقول :

نظرت بعيدا وهي تحاول الدفاع في ضعف :

- إن "سالي" أختي وقد اعتنيت بها دائما .

نهض "إميليو" وقال :

- إذن لقد حان الوقت كي تتوقفي عن ذلك . ابدئي بالعناية بنفسك كنوع من التغيير .

تعجبت أن يكون هو بالذات الذي يعلمها تلك الفلسفة

إنه النموذج الرفيع للاكتفاء الذاتي ، إنه "إميليو" رمز الانانية ، فجاة احست بالاهتزاز من الغضب واليأس ، فبدات تنهض على قدميها ولكنها اصطدمت بالمائدة الثلاثية حيث توجد المشروبات تطوحت في محاولة لتحفظ توازنها واوشكت ان تنجح في ذلك عندما امسك "إميليو" بذراعها .

قال لها عندما سقطت الأكواب والصينية على الرمال :

- دعيها تسقط . إن مصير هذه الأشياء التافهة لا يهم .

احست باصابعه كالنار فوق رسغها عندما ادارها بقوة كي تنظر إليه بينما كانت تقاطيعه الحادة تهددها . امسكت انفاسها عندما جذبها نحوه واحست بالقماش القطني لقميصه يلامسها.

كان وجهه على بعد سنتيمترات وشفتاه الشهوانيتان تمسحان شعر حاجبيها ونظر إليها خلال رموشه الكثيفة بعينين تتحرقان وتحرقان . فكرت فيه في رعب " إنه الصقر فهل انا فريسته ؟ "

عندما بدات تناضل اطلق سراح رسغها واختفى في الحال عمق اللحظة السابقة ثم قال لها في هدوء :

- يجب على المرء ان يتعلم في الحياة ان يميز بين الأسباب التي تستحق الجهد والتي لاتستحق . واختك العزيزة من بين الأسباب التي لا تستحق الجهد .

حملقت إليه :

- انت مخطئ : وانت تعلم ذلك .

هز راسه :

- اتمنى ان اكون كذلك ولكني لست مخطئا.

استمر مركزا عينيه على عينيها دون ان تطرفا وبحث في الجيب الخلفي لبنطلونه واخرج مظروفا مغلقا وناوله إياها قائلا :

- ستجدين بداخله تذكرة طائرة بالدرجة الأولى للعودة إلى "لندن" مع إمكان قضاء اسبوع عطلة في فندق فاخر في "برنديزي" . واعتقد ان هذا يمكن ان . يعوضك تماما عن كل المتاعب التي لا معنى لها والتي وضعت نفسك فيها.

سرى داخل "هيلاري" سلسلة باردة من الكراهية . إذن هو يضيف الرشوة إلى الإكراه . ثم اخذت تمزق الظرف بما فيه إلى جزئين ثم إلى اربعة اجزاء وهكذا إلى ان اصبح قصاصات صغيرة ثم القت بها في الهواء بحركة غضب جامحة ونظرت إليه نظرة ارتياح وهي تسقط

فوق الرمال - نظر إليها "إميليو" نظرة سوداء - ستعيشين لتندمي على ذلك يا عزيزتي .

ثم استدار دون ان يلقي عليها نظرة اخرى ودلف فوق الرمال .

الفصل الرابع

تخلصت "هيلاري" من الغضب والإحباط عندما رحل "إميليو" فعادت مباشرة إلى الفيلا وبدات تدرس قائمة اسماء "سالي" مرة اخرى .

لم ترد اول مكالمتين . إما ان اصدقاء "انطونيو" يكذبون لحمايته او انهم كانوا يتوهمون انه رحل لقضاء عطلة في مكان ما مع زوجته وابنته . أما المكالمة الثالثة فقد سبق أن حاولت معها مرتين من قبل ولكنه كان مشغولا او لا يرد . كان رقم هاتف منزل "مارك ماردیني" وهو كما قالت "سالي" الصديق الشخصي لـ"انطونيو" في نادي اليخت وبالتاكيد فإن "مارك" هو الذي يعرف مكان "انطونيو" . احست بالسعادة عندما سمعت صوت انثوي يرد :

- الو لو سمحت اريد التحدث مع السيد "مارك ماردیني"

عندما سمعت المراة لهجة "هيلاري" الإنجليزية اجابت بلغة إنجليزية سليمة تماما :

- لا ، انا آسفة ، إنه في الخارج في عمل . ربما استطيع مساعدتك إذا اردت ترك رسالة . انا السيدة "ماردیني" .... زوجته .

فكرت "هيلاري" بسرعة :

- اعتقد انني حقيقة احتاج إلى التحدث مع زوجك ، إنه امر مهم يخص "انطونيو واكورماك" ، انا اخت "سالي" .

ساد الصمت برهة في الطرف الآخر ثم قالت المراة :

- آه ! في هذه الحالة يمكنك ان تتحدثي إليه مساء السبت في الحفلة .

- الحفلة ؟

- حفلة "إميليو" في "كازا جراندي" و"مارك" سيعود بالتاكيد ليحضرها .

ابتسمت "هيلاري" في نفسها وقالت بادب :

- حسنا . سابحث عنه هناك إذن .

اتسعت ابتسامتها وهي تضع سماعة الهاتف . إذن "إميليو" سيقيم حفلا ، يالها من انباء مهمة . إذن سيكون كل شخص على الجزيرة هناك بما في ذلك كل الناس الذين يمكنهم مساعدتها في بحثها .

احتضنت نفسها فرحا . بدات الخطة تتبلور في ذهنها . سيحصل "إميليو" مساء السبت على ضيف إضافي .

ركبت السيارة "الاوتوبيافكي" الصغيرة في مساء السبت بعد الساعة التاسعة واخذت طريقها بعصبية نحو قصر "كازاجراندي" . إن تلصصها على الحفلات الخاصة ليس من الأمور التي تحبها . وليست لها خبرة بذلك ولكن هذه الليلة ستتاح لها الفرصة الغالية التي يجب الا تفوتها ، قالت لنفسها إنه بدلا من الاضطراب والتخبط من الأفضل ان تغامر بمقابلة "إميليو" وسماجته استطاعت بمساعدة "روبرتا" ان تعقد شعرها الطويل في ضفيرة واحدة خلف ظهرها . وشبكتها في طرفها بمشبك على شكل قوس ورمح . اعطاها ذلك مظهرا راقيا وبخاصة الزي المناسب الذي ارتدته والمكون من رداء من قطعتين مطبوع بالزهور الزرقاء والبيضاء .

ابتسمت في مكر في نفسها عندما اخذت طريقها نحو طريق الصخرة . ومهما كان لديها بعد نظر كي تحضر معها بعض الملابس الاكثر حشمة فإن زيها الذي كانت قد احسنت اختياره كان متواضعا

إذا ما قورن بالثياب الراقية للطبقة العليا التي توقعت ان تراها هذه الليلة . لقد شكت أن يكون حفل "إميليو" الصغير قد سبق لها ان رات له مثيلا من قبل .

ولكن بقيت امامها مشكلة واحدة وهي كيفية الدخول . إنها لم يسبق لها ان دخلت قصر "كازاجراندي" من الأبواب الرئيسية من قبل . ورغم تعليمات "روبرتا فقد وجدت صعوبة في ان تشق طريقها ، إلى ان لمحت ثلاث سيارات "ليموزين" في قافلة متجهة إلى الداخل فتبعتها. تاكدت شكوكهامن انهم ضمن الضيوف . حيث دارت نصف دورة حول الغابة القديمة ثم عبر بوابات عالية إلى الفناء الذي تتوسطه نافورة .

تركت سيارتها الصغيرة في ركن مهجور وصعدت الطريق وهي تحس بانها مذهولة من المناظر والاصوات التي التقت بها عيناها و واذناها . كانت ابواب القصر الضخمة المنقوشة مفتوحة على داخل القصر المضاء بقوة وتنبعث منه موسيقى واصوات . لقد بدا جليا ان الحفل على اشده .

حاولت في ياس ان تتحكم في اعصابها والصقت نفسها بمجموعة من الضيوف وصلوا وقت وصولها .

إذ قادتها امراة في الزي الرسمي الأزرق والأسود إلى بهو جدرانه مغطاة بالمرايا. بعد ذلك تبعتها خلال ممر رقيق يؤدي إلى حجرة ضخمة ممتلئة بالضيوف المرحبين

تريثت فترة قصيرة كي تصارع التحذير الذي صعد إلى حلقها . لقد كان عدد ضيوف "إميليو" ضخما وكانت النساء يشتعلن حماسا وبهجة وقد لمعت اللآلئ والجواهر على صدورهن وفي معاصمهمن وارتدين الحرير وقماش التل بينما ارتدى مرافقوهن من الرجال ثياب السهرة الفاخرة وبدا على الجميع انهم تعودوا تماما على الاناقة والثراء الفاحش .

تفرقت المجموعة الصغيرة التي تسللت بينهم بسرعة بين الجمع الغفير الصاخب وتعالت صيحات الترحيب من اصدقائهم بينما وجدت "هيلاري" نفسها تحس إحساسات غريبة من الوحدة والانفصال عن عالم مترابط . سادتها موجة مفاجئة من الخوف وفكرت ان تستدير

وتترك المكان قبل ان يلاحظها احد .

ولكن الوقت كان قد فات على ذلك إذ ظهر احد السقاة بجانبها .

- ماذا تريد الآنسة ان تشرب ؟

ترددت فقال :

- شرابا منعشا ؟

هزت راسها موافقة :

- نعم من فضلك .

تساءلت ماذا يمكن ان يكون افضل في هذه المناسبة من الشراب المنعش ؟

ظهر ساق اخر كالسحر ومعه صينية مليئة بكؤوس الشراب المنعش ودعاها قائلا :

- تفضلي يا انسة

تناولت كاسا وهي تشكره بالاميركية ثم اختفى الساقيان بين الجمهور . نظرت فوق حافة كاسها إلى بحر من الوجوه . لم يظهر اي اثر لـ"إميليو" ربما كان ذلك امرا يسعدها وربما استطاعت ان تتسرب بين ضيوفه وتحصل على المعلومات التي تريدها دون ان يدرك وجودها. قطبت وهي تنظر حولها وتساءلت من اين تبدا ؟"

في هذه اللحظة احست بعينين مركزتين عليها . كانتا لفتاة ذات شعر داكن مرتدية ثوبا بلون العاج من المحتمل انه كلفها الثمن الذي تدفعه "هيلاري" طوال العام على ملابسها وهي ضمن مجموعة قريبة منها . كانت عينا الفتاة ترمقانها في امتعاض وتنظران إلى الثوب ذي القطعتين وإلى العنق والرسغين الخاليين من الجواهر وإلى الحذاء الرخيص ثم قالت دون ان تفتح فمها .

- "ماذا بحق السماء تفعلين هنا ؟" .

تمالكت "هيلاري" نفسها بصعوبة وهي تلعن الفتاة في نفسها وصلبت طولها ونظرت إليها في تحد ثم حركت يدها في الهواء وهي تستدير مبتعدة إذاصطدمت باحد السقاة الذي استطاع ان يسيطر على الصينية التي امتلات بالمشهيات . اعتذر الساقي وهو يتوازن بمهارة ويبعد الصينية لم تكن ردود افعال "هيلاري" سريعة واحست

بالدماء تتصاعد في خديها عندما انسكب الشراب المنعش فوق ذراعها لم تكن في حاجة إلى رفع نظرها كي تحس بنظرة السرور على وجه الفتاة ذات الشعر الأسود امتدت ذراع سمراء مفتولة في الحال واخذت منها الكاس الفارغة قائلا :

- اسمحي لي ساتعامل مع ذلك الأمر .

لوح للساقي كي يبتعد في نفاد صبر حين قدم لها كاسا جديدة من المشروب المنعش فقال له :

- هذا ليس ضروريا فإنني لا اظن ان الشابة ستمكث بعد الآن .

كانت لا تزال تشعر بحمرة الخجل عندما رفعت عينيها فوجدت ان "إميليو" واقف بجوارها تماما. لم تكن مستعدة للقائه مما جعل قلبها ينبض بشدة كان مرتديا سترة بيضاء وبنطلونا اسود وربطة عنق قصيرة حريرية . كان شعره الأسود يضوي تحت الأنوار الساطعة بينما بدت العينان السوداوان وكانهما تنومانها تنويما مغناطيسيا . كان تعبير عينيه قاسيا ولهجته قاسية متهكمة :

- لا اذكر انه كان لي شرف دعوتك الليلة .

- إنك لم تفعل ولكني افترضت ان الأمر يستحق الحضور .

كانت "هيلاري" تصارع كي تسترد سيطرتها على نفسها . لوى شفتيه في ابتسامة وإن كان غير مسرور :

- لقد جاء توقعك خاطئا يا عزيزتي . إن السبب في عدم دعوتك هو انني لم ارد ان اجدك هنا ...

ظل مركزا عينيه عليها في تحد واكمل :

- اتدرين انني اعرف ما تسعين إليه .. ومادام ليس لدي اية نية لان اسمح لك ان تطاردي ضيوفي بتحرياتك التي لا طائل من ورائها فاسمحي لي ان اصحبك واعيدك إلى سيارتك .

شدت "هيلاري" كتفيها في تحد وخطت خطوة للخلف بعيدا عنه قائلة :

- لم يكن لدي اية فكرة عن ان الارستقراطين السيسيليين يتمتعون بكرم الضيافة .

- لولا معرفتي بالفعل لسلوكيات أختك السيء لتعجبت من جراة

الفتيات الإنجليزيات وهن يتجولن بمفردهن دون حياء . واكرر عليك ارجوك ان تسمحي لي بمصاحبتك لتعودي إلى سيارتك

امسك ذراعها بيد قوية في غير صبر ووجهها نحو الباب . احست "هيلاري" بنفسها تتخشب غير واثقة من خطوتها التالية ثم فجاة واتاها الوحي فنزعت ذراعها من يده ودارت لمواجهته :

- إذا وضعت يدك علي مرة اخرى فإنني احذرك انني ساسبب لك اكبر فضيحة.

تردد فترة وجيزة وعرفت انها اصابته في مقتل ، إن الفضيحة هي اخر ما يمكن ان يرجوه في تلك الليلة البديعة . ضاقت عيناه وحرك يديه الداكنتين في تردد وتهديد :

- إنك اسوا من اختك التي لا حياء عندها .

وقفا في مكانهما بلا حراك وهما يحملقان كل منهما إلى الآخر وكانهما كلبان يوشكان ان يتعاركا . كان قلب "هيلاري" ينبض بشدة في صدرها فجاة احست بانها هي الأخرى لا تستطيع ان تهدده . ولحسن حظها لم يجرب معها تهديده. سمعت في تلك اللحظة صوتا إنجليزيا ناعما قاطعهما في الوقت المناسب :

- هانت اخيرا يا "إميليو" ولم تتح لنا فرصة كي نخبرك كم تمتعنا بحفلتك .

استدار الرجل ذو الشعر الفاحم والفتاة الشقراء النحيفة في وقت واحد ليجدا امامهما رجلا مهيب المظهر اشهب الشعر يبتسم وبجواره زوجته الأصغر منه سنا ذات مظهر مغر . . استعاد "إميليو" سيطرته على نفسه في الحال واحنى راسه لهما وهو يقول :

- "بيتر وسوزان" ! إنني سعيد لاستطاعتكما الحضور .

ثم استدار في تردد غير ملحوظ استطاعت هي فقط ان تحسه :

- اسمحا لي ان اقدمكما إلى "هيلاريا" شقيقة "سالي" يا "هيلاريا" اقدم لك "بيتر وسوزان دونالدسون" اقدم المقيمين في الجزيرة من الإنجليز .

كانت هذه هي المرة الأولى على ما تذكر التي سمعته فيها ينطق اسم اختها دون ان يشوب لهجته الاحتقار . شد الزوجان على يدها بحرارة بينما

ابتسمت "سوزان"

– هل انت اخت "سالي" ؟ لايمكن ان اظن انك تشبهينها اتدرين انك لا تشبهينها في اي شيء ؟

هزت "هيلاري" راسها بحذر وهي تتجنب عيني "إميليو" . وإن احست بانه يبتسم في وقاحة وردت :

– لا ... معظم الناس يقولون إننا مختلفتان تماما .

– ولكني ظننت ان "سالي" و"انطونيو" رحلا في عطلة

توقف "بيتر" عن تكملة السؤال وبدا عليه تعبير الخجل والاعتذار لعدم حرصه وترك مهمة الشرح لمضيفه .

فكرت في مكر كيف سيتخلص "إميليو" من ذلك المازق ؟

ولكن الأمر لم يشكل له اي قلق إذ قال بنعومة :

– إن "هيلاري" تقوم ببعض الأعمال الخاصة في الجزيرة وقد يبدو ان سوء الحظ هو السبب في إساءة اختيار وقت الحضور في اثناء غياب اختها و"انطونيو" ولكن ...

ثم هز كتفيه بلا اكتراث وهو يوجه ابتسامة عريضة لـ"هيلاري" :

–وهذا يعني بكل بساطة انني ساتمتع بالعناية بها بمفردي .

عندما التقت عيناه السوداوان بعينيها الزرقاوين وثبتنا عليهما لم تستطع "هيلاري" إلا ان تبتسم ابتسامة متلصصة في إعجاب لم تستطع كتمانه لقدرته على تمالكه نفسه وسيطرته الفائقة على ما حوله . كان مثل عين البركان ولا يمكن لأحد ان يصرعه.

كان احد السقاة يطوف بهم حاملا صينية شراب فاخذت "هيلاري" كاسا من الشراب المنعش . كانت عيناها تتحديانه ان يلقي بها خارج القصر في تلك اللحظة وهي ترفع الكاس إلى شفتيها وتحتسي منه ، غير ان انتباهه تشتت لحظات . رات في اقصى جانب الحجرة جسدا رجراجا لدرجة مذهلة لشابة ذات شعر احمر ترتدي ثوبا اخضر وتلوح بيديها نحوه . هز راسه لها ثم القى نظرة اعتذار سريعة للزوجين "دونالدسون" ونظرة تحذير لـ"هيلاري" وقال :

– ارجو المعذرة لحظة إذ ارى وصول بعض الضيوف .

راقبته "هيلاري" وهي تتنهد بارتياح عندما سار وسط الجمهور ثم

ابتسمت ابتسامة ملتوية عندما رات إحدى الفتيات تقبله بحماس تلا ذلك قبلات من فتاة اخرى ترتدي زيا احمر اللون .

عندما تتبعت "سوزان" عينيها واستنبطت افكارها اعلنت وهي تقهقه عاليا :

– إن "إميليو" رجل محبوب للغاية .

تذكرت "هيلاري" فجاة ملاحظة "سالي" لها حول ضعفه امام الحسناوات . إنها تعلم الآن مدى السهولة المتناهية لملاحظة اختها . إن "إميليو" دون شك زير نساء . إن مظهره وسحره وسيطرته عليهن واضحة . وهناك شهوة حسية في عينيه العميقتين الداكنتين يمكن ان تفرق الجنس الآخر . ولكن لا يمكن ان يكون لديه ضعف إطلاقا . إنها كلمة لا معنى لها مع "إميليو" .

عادت فركزت انتباهها مرة ثانية على الزوجين "دونالدسون" وهي حريصة على ان تستفيد من استعادتها حريتها . تظاهرت بانها تتطلع حول الغرفة ثم سالت في صوت عرضي :

– إنني ابحث عن "مارك ماردیني" وزوجته ولا اعتقد انكما شاهدتماهما . أم هل رايتماهما ؟"

قطب "بيتر" ونظر حوله :

– لقد كنت اتحدث مع "مارك" منذ فترة .

قاطعته "سوزان" :

– انظر ، إنهما هناك بجوار باب الشرفة .

اشارت بيدها نحو رجل طويل ذي شارب وامراة نحيفة شقراء الشعر في ثوب بالوان الطاووس يقفان بجوار مجموعة من الضيوف .

نظرت "هيلاري" من فوق كتفها لتعرف إن كان "إميليو" لا يزال مشتبكا في الحديث فابتسمت معتذرة :

– ارجو المعذرة ولكني وعدت بان اتحدث معهما .

لم تكن هناك فائدة في استجواب الزوجين "دونالدسون" فقد بدا واضحا انهما لن يستطيعا ان يخبراها بشيء . ابتسمت لها "سوزان" قائلة :

– هيا اذهبي يا عزيزتي . لقد اسعدنا الحظ بلقائك .

- وانا كذلك .

هزت راسها في ادب وانسحبت ثم خفضت راسها وحافظت على ان تبقى حركاتها غير ملحوظة واتجهت نحو باب الشرفة ووقفت بجوار السيدة الشقراء

- السيّدة " ماردیني " ؟

استدارت السيدة وهي تبتسم بادب وقالت :

- نعم ! .

- انا "هيلاري" شقيقة "سالي " اتتذكرين اننا تحدثنا هاتفيا في ذلك اليوم ؟ .

ازدادت الابتسامة المؤدبة دفئا وقالت :

- بالتاكيد نعم ... لقد قلت إنك تريدين الحديث مع زوجي .

هزت راسها نحو الرجل الطويل ذي الشارب وقالت :

- حسنا - ها هو ذا !

وجه الرجل الحديث إليها :

- نعم يا سيدتي ! كيف يمكنني مساعدتك ؟ .

سلكت "هيلاري" حنجرتها ونظرت بسرعة من فوق كتفها .

- إنه "انطونيو " الذي اريد الحديث معك بشانه .إنني اعرف انكما صديقان حميمان .

ابتسم "مارك ماردیني" واجاب :

- إنني اعتقد ذلك ، في الحقيقة إنني احب ان اكون صديقا لكل عائلة "واكورماك" .

اللعنة . في هذه الحالة يجب عليها ان تعيد صياغة جملتها بدبلوماسية . ترددت لحظات ثم قالت :

- إنني احتاج إلى الاتصال بالسيد "انطونيو " في اقرب فرصة ولكن.. إنني اعرف انه رحل بعيدا واعرف ان ما اقوله قد يبدو سخيفا ولكني لا اعرف اين ذهب .

قطب "مارك " ثم قال :

- إنني لا اعرف إطلاقا اين ذهب ويبدو انني اتذكر انه اشار إلى رحلة عمل إلى المانيا هذا الشهر واستنتج انه ذهب إلى هناك .

قطبت السيّدة " ماردیني" بدورها وقالت :

- يالها من فتاة مشاغبة حيث تختفي دون ان تخبرك اين هي ذاهبة.

قاومت "هيلاري" رغبتها في إخبارها انها تعرف مكان "سالي " وانها مثلها لا تعرف مكان زوجها ولكنها سالت :

- هل تقول المانيا ؟ في اي مكان في المانيا ؟ .

- اعتقد انه قال المانيا وفي هذه الحالة الأغلب ان يكون في "هامبورج" ولكن قد يكون في "روتردام" فهو كثيرا ما يذهب إلى هولندا ايضا .

فجاة احست "هيلاري" بان عقلها ينذرها .كانت تنصت نصف إنصات إلى السيد " ماردیني" وهو يقول :

- كم هو لطيف ان"سالي " استطاعت ان ترحل معه هذه المرة تماما كما كانت تفعل قبل مولد الصغيرة "جينا" وإن كان ذلك متعبا لك إذا توقعت ان تجديهم هنا .

قال "مارك " مقترحا :

- ولكن لماذا لا تسالين "إميليو" ؟ إنه يعرف تماما اين يوجد "انطونيو " .

انتفضت "هيلاري" في نفسها وكانت توشك ان تسال عندما وجدت وجه "مارك " يبتسم قائلا :

- إذا ذكرت القط ... !

- نعم لقد ذكر القط

وفي الحال وجدت يده الحازمة فوق ذراعها بينما اهتزت الكاس في يدها :

- ارجو المعذرة لمقاطعتكم ولكن اعتقد ان هذه هي رقصتنا .

استدارت "هيلاري" وهي تحس بان قلبها ينبض بشدة وهي تنظر في عينيه السوداوين اللامعتين ثم نظر إلى مرافقيها وقال :

- ارجو المعذرة .

اشتدت قبضته فوق ذراعها حتى اوشكت أن تصرخ لم تكن دعوة للرقص وإنما كانت دعوة للخضوع . ثم لم تكن هناك اية فائدة في

مقاومته . كان "إميليو" يسحبها دون جهد والابتسامة المعقدة فوق فمه بينما وجهتها يده القوية على ظهرها نحو شرفة ضخمة . كانت فرقة موسيقى تعزف الحانا راقصة . ادارها وكانها عروس من القماش كي تواجهه وجذبها بخشونة بين ذراعيه واسند ظهرها على إحدى يديه القويتين والثانية امسكت بيدها بشدة وثبات :

- إنك ترفضين اي تحذير يا عزيزتي .. اظن انني طلبت منك ان تتركي ضيوفي في حالهم .

أحست بانها سجينة بين ذراعيه وهو يوجهها نحو وسط حلبة الرقص . حملقت إليه بعينين زرقاوين عدائيتين وقالت :

- إنك ستلوم نفسك إذا انتهى بي الامر إلى مطاردة ضيوفك . كل ما عليك هوان تخبرني اين اجد "انطونيو" .

ثم وجدت نفسها لا تقاوم ان تضيف بلهجة انتصار :

- ولكني لم اعد في حاجة إلى مساعدتك بعد الآن . لقد اخبرني "مارك ماريديني" بكل ما انا في حاجة إلى معرفته .

رفع أحد حاجبيه الأسودين وسالها :

- أوه ؟ وماذا قال لك "مارك" ؟ .

لم يكن هناك ما يدعوها إلى ان تكتم عنه ما عرفته بل على النقيض ربما استطاعت ان تحكم من رد فعل "إميليو" إن كان ما قاله "مارك" دقيقا ام لا .

قالت وهي تراقبه بدقة :

- لقد اخبرني انه ذهب إلى "هامبورج" او "روتردام" .

ولكن تعبير "إميليو" لم يفصح عن شيء ، ابتسم ابتسامة صغيرة فكاهية وقال :

- في هذه الحالة هل نطمع في رحيلك المبجل إلى اوروبا ؟

قررت ان تستمر في اللعبة معه لانها كانت في حاجة إلى معرفة امرين . وقالت :

- ربما ! لابد انك تعرف اسماء الناس الذين يتعامل معهم هناك والفنادق التي يقيم فيها وغير ذلك .

وكل ما اريده هو ان تعطيني عددا من ارقام الهاتف والعناوين

وبعدها اعدك بان ارحل .

ابتسم لها ابتسامة حلوة مثل ابتسامتها وسالها :

- ولماذا يجب علي ان افعل ذلك ؟

- لقد قلت إنك تريد ان تتخلص مني .

- وانا ايضا قلت ، إذا كنت تتذكرين ، إنه ليس لدي النية لاي سبب في مساعدتك في مهمتك الصغيرة واعتقد انني اوضحت ذلك تماما .

- الا يكون من الافيد لك ان تتعاون معي مرة حتى تتخلص مني ؟ .

ركز نظره عليها وابتسم ابتسامة قاسية وهو يديرها برقة فوق حلبة الرقص :

- إن لدي العديد من الطرق للتعامل مع الناس الذين يلتصقون بي يا عزيزتي والتعاون ليس ضمن تلك الطرق .

احست "هيلاري" برعدة في سلسلة ظهرها وهي تنظر في عينيه العميقتين عمق منتصف الليل واللتين لا تبديان رغبة في التصالح . وفجاة ايضا احست بطوفان من البرود الرجالي يغرقها فقالت لنفسها بحسم عندما بدا نبضها يسرع وهو يمسكها كالاسيرة : إن عليها الا تصبح اسيرة إغرائه وان ما تحسه بالالفة من قربه منها إنما هو امر سخيف وغير منطقي ولا معقول وإنها يجب ان تحذر ذلك تماما .

عندما حاولت بدون ان تنجح الابتعاد عنه سالها بلهجة عرضية مرة ثانية :

- إذن اي نوع من المعلومات الاخرى استطعت الكشف عنها في اليومين الماضيين ؟ .

خفضت عينيها وهي تتجنب نظراته السوداء :

- لاشيء ، كل من تحدثت معه كان واقعا تحت وهم وقناعة ان "سالي" و"انطونيو" يقضيان عطلة معا .

- إن ذلك امر مناسب .

عندما ابتسم رفعت عينيها إلى اعلى وتتبعت استدارة فمه فابعدت عينيها بسرعة قائلة :

- يمكنني ان اقول إنك استطعت تدريبهم تدريبا جيدا على قول ذلك، وحتى لو كانوا يعلمون شيئا لما قالوه .

بدت لمحة من السرور في عينيه :

- نعم . إنهم مخلصون تماما وانا سعيد لذلك رغم انه على النقيض مما يوحي به حديثك ، فإنني لا اخمن حقيقة ما تقولينه .

- يالك من متواضع ! ولكنني اجد صعوبة في ان اصدقك إنني احس بانك تمتلك كل هذه الجزيرة اللعينة وكل من فيها مرتبط بك وتحت سيطرتك . واراهن انني اعرف كيف تفعل ذلك ايضا بقليل من الضغط هنا والإغراء هناك .

ضايقها ان "إميليو" استمر في الظهور بمظهر المسرور .

- كل شخص يستطيع ان يستخدم اي طريقة فعالة يا عزيزتي .

ضاقت عيناها وهي غير موافقة وكارهة للطريقة التي كان يضحك بها ، وقالت :

- وانت نوع من الرجال لا يقف امام اي شيء في سبيل السير قدما في طريقه . خبرني ! هل انت تحسب كل مناطق حياتك الأخرى حسابا دقيقا وهادئا ؟

ظهر تغيير ضئيل ومفاجئ في ابتسامته . وحرك يده التي كانت على ظهرها قليلا بينما ركز عينيه عن عمد على عينيها وقال :

- اي مناطق في حياتي بالتحديد يا "هيلاريا" ؟ .

حولت نظرها واجابت بطريقة غريبة :

- مناطق اخرى بوجه عام .

لقد كان سؤالها الأصلي بليغا وكانت تتمنى لو احتفظت به لنفسها قال :

- اتعنين بوجه عام اي شخص كما افهم ؟ .

يالها من سانجة . تقلصت معدتها وهي تحتج :

- إنني لم أعن شيئا بوجه محدد .

- ولكني اعتقد انك كنت تعنين ذلك ومادام الأمر يهمك إلى هذه الدرجة فاسمحي لي بشرف إجابتك .

تريث فترة وقد ركز عينيه على وجهها وهو يتمتع تماما بمشاهدتها وهي مضطربة واكمل :

- ماذا كان السؤال مرة ثانية ؟ هل انا احسب حساب علاقاتي الخاصة حسابا باردا ودقيقا كما ابدو في باقي الأمور ؟

صمت مرة اخرى فقاطعته "هيلاري" قائلة :

- في الحقيقة لست اريد حقا ان اعرف .

ولكنه كان يتمتع بالتمعن في إجابته . ابتسم لها ابتسامة ماكرة واعترف لها قائلا :

- لا يا "هيلاريا" في اكثر المناطق خصوصية في حياتي فإن صفة البرود لا تنطبق علي .

وجدت وجهها يشتعل خجلا دون إرادتها :

- لقد قلت لك إنني لا اريد ان اعرف .

على اية حال فإن "إميليو" لم يكن قد انتهى من إحراجها .

- ولكن لا تاخذي كلمتي على محمل الجد يا عزيزتي . اما إذا كنت تريدين ان تتيحي لنفسك فرصة الدخول في مجال البحث في الموضوع فإنني استطيع ان ارتب ذلك .

مسحت عيناه السوداوان في جراة وجهها وفجاة خفضت "هيلاري" نظرها إذ اشتعلت داخلها شعلة كرد فعل للرسالة الفاضحة التي ظهرت في كلماته ، فجاة احست بان قربه منها لم يكن إغراء بل كان تهديدا مليئا بالوعد الحلو والحاد .

بذلت كل جهدها في اثناء بقية الرقصة كي تركز على الموسيقى وهي تناضل في ياس كي تبتعد على الاقل بذهنها عنه . وفجاه توقفت الموسيقى واحست بنوع من الخوف المشوب بالارتياح عندما اسقط يده عن وسطها وتنفست بسهولة عندما اتسعت الفجوة بين جسديهما وخطت خطوة إلى الخلف على حافة حلبة الرقص واستطاعت ان تلم شعثها مرة اخرى .

لم تكن قد سيطرت تماما على نفسها ففي اللحظة التي خلصت نفسها حضر رجل في زي كبير السقاة ودخل الشرفة واعلن إلى الجمع ان مائدة الطعام قد اعدت . سرت همهمة الموافقة بين الجميع بينما ضم "إميليو" اصابعه حول ذراعها فاحست بان قلبها يسقط عندما سمعته يقول :

- ربما قدمت لي معروفا بتشريفي بقبول الانضمام إلى العشاء فإنني اعتقد انني ساكون اكثر سعادة لو استطعت ان ابقي نظري

عليك .

بعد ذلك أخذ يوجهها عبر الشرفة إلى حيث اقيم صف من الموائد المتلاصقة وامرها ويده فوق وسطها :

- ابتسمي يا عزيزتي ! حاولي أن تظهري وكانك تتمتعين بوقتك .

كم كان موقفها مثيرا للسخرية إذا ما قورن بموقف الآخرين الذين يودون لو كانوا في مكانها . لاحظت امام اطباق المحار والاسماك والسلطة الطازجة أن هناك اكثر من عين نسائية تنظر إليها في عدم رضا وتحسدها على ميزة مشاركتها لهذا الرجل الوسيم المضياف الثري العشاء والذي كن يعتبرنه بمثابة جائزة كبرى .

نظرت إلى طبق مليء بالكابوريا ثم إلى فتاة ذات شعر اسود ورداء عاجي اللون كانت تتطلع إليها في مقت ظاهر ، ورغم زيف موقفها فإن "هيلاري" احست بالسرور وهي تنظر إليها في انتصار .

استقرت هي و"إميليو" امام إحدى الموائد الصغيرة التي تطل على الخليج وانضم إليهما زوجان آخران هما "فريدا" وباولو" والسيدة من النساء المشهورات باعمال الصلح بين العائلات وزوجها يعمل محاسبا وهو رقيق مسل . وعندما تحول الحديث نحو اموراكثر شيوعا واقل خصوصية وجدت "هيلاري" نفسها دهشة ترتاح وتتمتع تماما بوقتها . لقد كان مرافقاهما يفيضان حيوية وصحة واكتشفت "هيلاري" انه إلى جانب كون "إميليو مرافقا ممتازا فقد كان قصاصا ممتازا ومسليا . اخذت تتطلع من اسفل اهدابها إلى الرجلين وهما يتحدثان بطريقة طبيعية عن امور تاريخية . وابتسمت عندما انحنت "فريدا" عبر المائدة نحوها وقالت وهي تهز رأسها :

- كان من الواجب عليه أن يعلم انه من الأفضل الا يجادل "إميليو" حتى وهما يلعبان "الاسكواش" فإن "إميليو" دائما هو الفائز .

لم تقل هيلاري" شيئا وإنما اكتفت بالابتسام مرة اخرى مفضلة ان تحتفظ بافكارها لنفسها .

إن ما قالته "فريدا" هو دون شك حقيقي ولم تجد صعوبة في تصديقها ولكن ما وجدته غير مقنع إلى حد ما هو ذلك الدفء غير الخفي في صوت المرأة تماما مثل تلك العاطفة التلقائية التي راتها من

قبل في صوت " بيتر وسوزان دونالدسون " وعلى نقيض ما تمنت أن تصدقه فقد ظهر بما لايدع مجالا للشك أن المركيز كان يتمتع بمكانة عالية لدى الجزء الأكبر من المجتمع .

نظرت بعيدا وقد ساورها شعور بالاضطراب . إن اسفل هذه الطبقة الخادعة يوجد الوحش الذي حذرتها "سالي" منه . ولكنه وحش ذكي وخادع ويستطيع أن يسقط قناعه بسهولة .

عندما وصلت القهوة ذهب "باولو" و"فريدا" ليرقصا . استدار "إميليو" نحوها عندما اصبحا بمفردهما وابتسم بتركيز قائلا :

- لم يكن الأمر مؤلما يا عزيزتي . اليس كذلك ؟ إنني ارى انك قادرة على التصرف بلباقة إذا اصررت على ذلك .

الحقيقة انها لم تكن مضطرة إلى الإصرار بوجه خاص ولكنها فجاة احست بالتوتر فعادت إليه قائلة :

- إن المرء يميل دائما إلى الاستجابة للصحبة ولحسن الحظ انت لست من المعدودين في الصحبة .

ابتسم بوقاحة وقال :

- نعم اعتقد ان كلينا تمتع بالفائدة .

حملقت "هيلاري" إليه عبر المائدة . لقد تحطم الشكل الطبيعي ورات امامها الآن الرجل الذي يقف عن عمد في طريقها ويمنعها من الاتصال بـ"انطونيو" والصغيرة "جينا" فتحت فمها كي تعود إلى ذلك الموضوع ولكنها قوطعت عندما اقترب الساقي وانحنى كي يهمس في اذن "إميليو" .

وضع فوطته ثم استدار إلى "هيلاري" قال :

- ارجو ان تعذريني دقيقتين فإن بعض ضيوفي سيغادرون الحفل ولابد ان اذهب واصحبهم إلى الخارج

هزت "هيلاري" راسها وراقبته وهو يذهب وهي تحاول ان تخفي الفرحة الفجائية في داخلها لقد كانت هذه فرصتها الذهبية .

ففي اثناء انشغاله مع ضيوفه ومصاحبتهم إلى الخارج يمكنها ان تستغل فرصة غيابه كي تجري بعض التحريات السرية . كانت المعلومة الحيوية التي تحتاج إليها لابد انها مختفية في مكان هنا .

وطالما رفض أن يعطيها تلك المعلومة بمحض إرادته فيجب عليها أن تلجأ إلى الحيلة والخداع .

انسلت من فوق مقعدها واخذت طريقها عبر الشرفة خلال حجرة مكتب ضخمة ومنها إلى البهو. نظرت حولها . لم تر اي اثر لـ"إميليو" ثم قطبت وهي تصارع في ذهنها كي تسيطر على نفسها . إن حجرة المكتب التي استقبلها فيها في المرة الأولى لابد ان تكون في الدور العلوي على ما تعتقد .

وبدا أن ذلك هو افضل مكان تبدا فيه البحث ، لابد انه في ملف خاص في مكان ما اسماء وعناوين وارقام هواتف للاتصال بـ"هامبورج" و" رودتردام". امكنها ان تشاهد في نهاية الممر وعبر البهو المصعد الذي استخدمته من قبل ولكنها لا تستطيع ان تغامر باستخدامه في هذ اللحظة إذ كان مكشوفا تماما .

سارت إلى الخلف بغريزتها داخل ممر آخر يقود إلى الاتجاه المعاكس . كانت تبحث عن الدرج .

عندما سمعت أصواتا اختفت خلف احد الأبواب ثم حبست انفاسها وقلبها ينبض بشدة عندما كان رجلان صغيرا السن يرتديان الزي الرسمي الأسود والأزرق يسرعان ثم اسرعت نحو نهاية الممر خلال باب آخرثم خلال باب مزدوج في النهاية . تضاعف ضربات قلبها . لقد صدقت غريزتها إذ عثرت على الدرج الذي كانت تبحث عنه صعدت الدرج كل درجتين في قفزة إلى ان صعدت طابقا ودخلت ممرا ضيقا تماما مثل الممر الذي اسفله . كان تصميم كل دور مشابها للدور الذي يسبقه . تحركت بعد ذلك بخفة وسرعة عبر ممر آخر وعدد من البواكي إلى قاعة مغطاة ببلاط ازرق لابد ان حجرة المكتب خلف هذه البواكي وقررت أن تنشط ذاكرتها . إذن امامها طريق قصير والباب الثاني على اليسار .

كانت كفاها ترتعدان من الإثارة عندما وصلت إلى الباب فتريثت كي تتلصص بسرعة على ساعتها لم يكن قد مر عليها سوى دقائق قليلة ولا يمكن ان يكون "إميليو" قد احس بغيابها بعد . امسكت بيد الباب ثم سبت ولعنت . لقد كان مغلقا بالرتاج هتف بنفسها الا تصاب

بالذعر وان تحاول بابا آخر. تذكرت انه كانت هناك غرفة ملحقة بغرفة المكتب حيث تناولا فيها طعام الغداء . إذا استطاعت الوصول إليها فإن الأمر لن يصبح ميؤوسا منه . لم تستطع ان تقاوم ابتسامة انتصار عندما استجابت يد قفل الباب تحت يدها . لقد كانت محظوظة ، حبست انفاسها وفتحت الباب ودخلت الغرفة المظلمة ولكن عندما عثرت على مفتاح النور اغلقت الباب خلفها تخشبت في ضيق شديد وعدم تصديق . كانت الغرفة بالتاكيد غير التي كانت تبحث عنها .

كانت غرفة ضخمة وكانت الزينة الفاتنة تكشف عن طابع رجولي لا يمكن تجاهله وكانت قطع الأثاث من الضخامة بحيث تغطي معظم الأرضية وبخاصة السرير الدائري المصنوع من الخشب الفاخر لم تكن حجرة تستخدم للطعام ولا للدراسة . اخبرتها حاستها انها في غرفة نوم "إميليو" الخاصة. اللعنة على كل شيء . دعتها غريزتها إلى أن تتقهقر بسرعة لانه لم يكن من المحتمل ان تعثر على ما كانت تبحث عنه في ذلك المكان .

ثم انتهت إلى مكتب صغير بجوار السرير فوقفت في الحال وتساءلت من يدري ؟ ربما وجدت دفتر عناوين هناك ولن يستغرق الأمر سوى ثوان كي تلقي نظرة .

كانت ثوان قاتلة انقلب فيها الحال . عندما انحنت بعد ان ادارت ظهرها كي تفحص درج المكتب انفتح باب الغرفة في هدوء ودخل جسم طويل اسمر مرتديا حلة العشاء دون ان يحدث صوتا إلى داخل الغرفة وقف بدون اي تعبير يفحص "هيلاري" التي اخذت تعبث في درج المكتب ثم اغلق باب الغرفة خلفه بحدة وصوت عال .

غطى عرق الخوف حاجبيها ودارت حول نفسها في فزع وهي تحملق في ضيق وكل ما نطقته هو اسمه .

اخذ يراقبها بعينيه الداكنتين الخارقتين وقال :

- إذن .. استطعت ان تعثري على طريقك لغرفة نومي .

يا إلهي ! في اي شيء يفكر ؟ بدات تتلعثم وهي لا تحب الطريقة التي ينظر بها إليهافي تلك اللحظة بينما انتقلت عيناه في شهوة

ورغبة على صدرها ثم ساقيها

- لقد اخطات إن الامر ليس كما تظن ... إنني لم اقصد جف حلقها وهي تتراجع . ابتسم ابتسامة غريبة :

- لا تعتذري يا عزيزتي فانا لا اشكو .

استدار نصف دورة كي يغلق الباب بالرتاج واخذ المفتاح واسقطه في جيب سترته الداخلي

- رغم انه من الواجب ان اقول إنني دهشت بعض الشيء إلا انني لم يكن لدي ادنى فكرة في على عجلة كي تبداي ابحاث السوق التي تحدثنا عنها من قبل .

فتحت "هيلاري" فمها لتحتج ولكنها لم تخرج صوتا .

فجاة تسمرت ساقاها انك مكانهما وقد شلت من الخوف والرعب عندما بدا يتحرك في خطوات ساكنة عابرا الحجرة نحوها .

الفصل الخامس

في اللحظة التالية كان واقفا امامها ، يهددها . وبدا قلب "هيلاري" يرفرف كطائر ذبيح داخل صدرها حاولت ان تتراجع خطوة بعيدا عنه ولكنها وجدت نفسها محشورة بين المكتب والسرير المغطى بمفرش حريري أسود مفضض .

- ارجو يا "إميليو" ان تصدقني ... إنني لست هنا من اجل ما تظن ... اقسم لك على ذلك .

ابتسم ابتسامة غير مصدقة واحست بساقيهاتتصلبان بطريقة غريبة وكانهما لشخص اخر غيرها .

كانت تحس ببرودة الحرير الأسود على ظهر ساقيها وهي تتعثر وتتلعثم :

- إنني ... ارجو ان تتوقف ..

ولكنه كان قد امسك بها ، اطبقت إحدى يديه على كتفها والاخرى خلف عنقها ليمسك راسها بقوة بينما اشتعلت العينان السوداوان وهما تنظران في عينيها .

- دعينا لا نضيع الوقت يا عزيزتي باحتجاجات فارغة .

www.rewity.com

جذبها بعد ذلك بحركة واحدة نحوه ثم انحنى عليها وقبلها بقوة وحشية . تجمدت "هيلاري" لحظات من الرعب ثم حل محله تيار من الأحاسيس البدائية داخل عروقها .

اجتاحها الخوف مرة اخرى ليس منه هو ولكن من ارتعاد شفتيها تحت شفتيه ثم فجاة احست بقوة خارقة جعلتها تناضل لتحرر نفسها وإن باءت كل جهودها بالفشل . فقدت توازنها وسقطت فوق السرير كان وجهه يبتعد سنتيمترات قليلة عنها :

- لماذا يا "هيلاري" ؟ لم يكن هناك اي داع لكل هذا .ولماذا تشعلين الحرب؟ ولماذا التظاهر بالمقاومة ؟ إن امراة إنجليزية حارة الدماء مثلك كل ما تفعله هو ان تستلقي وتسترخي وستتمتعين بذلك .

ولكن الخوف داخلها بدا يذهب فاخذت تضربه بيدها فوق كتفيه :

- دعني اذهب . كيف تجرؤ ايها اللعين ؟ إنني لم احضر إلى هنا من اجل ذلك ... لقد دخلت الغرفة خطا وظننت انها مكتبك . كل ما اردته هو العثور على بعض العناوين او ارقام الهواتف لاتصل بـ"انطونيو" . تغير تعبيره ثم نزل من السرير كي ينظر إليها مرة اخرى . بدا شيء غريب فوق شفتيه ، وضبط ربطة العنق السوداء وقال وكانه يعرف ما تقوله بالفعل :

- فهمت ! إذن لقد ظننت انك يمكن ان تتفوقي علي وتخدعيني ياعزيزتي وهو امر كما سبق ان حذرتك غير حكيم . القليل من الناس فقط هم الذين يستطيعون التفوق على ذكائي يا "هيلاري" واخشى الا تكوني من بينهم .

حاولت بسرعة ان تلملم شتاتها وهي تتدحرج فوق السرير بعيدا عنه وتمسك باعلى ثوبها المفتوح ظل ينظر إليها في حالتها هذه بعينين باردتين متعاليتين :

- ربما يصلح ذلك لكي يعطيك درسا . إن التسلل إلى مخادع العزاب هو امر محفوف بالمخاطر .

القت عليه نظرة قاسية غير متسامحة . لقد قام بما يثبت بالفعل قوله.

كان فمها لا يزال ملتويا بينما اندفعت الدماء في عروقها ساخنة

واجابته :

- نعم .. اظن انك اظهرت تماما وجهة نظرك .

اتى بحركة وهو يضع يده داخل جيبه الداخلي واخرج المفتاح . بعد ذلك تبعته "هيلاري" على بعد مسافة مامونة. بدا يتحرك نحو الباب ، وادخل المفتاح في قفل الباب بعناية ثم فتح الباب بسرعة .

استدار وهو يبتسم لها قائلا :

- إلى اللقاء فيما بعد !

وقبل ان تدرك ماذا يحدث كان قد خرج إلى البهو واغلق الباب خلفه مرة ثانية اندفعت "هيلاري" وهي مذعورة إلى الأمام في الوقت الذي اغلق فيه الباب بالمفتاح من الناحية الأخرى بدات تدق على الباب بوحشية :

- ماذا بحق السماء انت فاعل ؟"

بدا سرور قاس في الصوت الذي اجاب عليها :

- هل ظننت انني ساتركك هكذا بكل سهولة ؟ "حتى الآن يجب عليك ان تبقي مكانك .

تريث بعض الوقت قبل ان يضيف في سرور غير خفي :

- إلى ان اقرر عقابك .

اخذت "هيلاري" تدق الباب بقبضتيها :

- اطلق سراحي ... ليس لك الحق .

ولكنه اجاب :

- اصنعي كل الضجة التي تريدينها فلن يسمعك احد إلى جانب انه لن يستطيع احد ان يطلق سراحك سواي إن المفتاح في مكان امين في جيبي .

ثم بدا جليا انه ردا على طرقاتها وصراخها كانت قدماه تبتعدان منسحبتين إلى نهاية البهو .

ارغت "هيلاري" وازبدت . كيف تجرا ان يسجنها ؟ ومع ذلك كان من الواجب عليها ان تعترف رغم انفها انها هي التي جلبت على نفسها المتاعب . كان من الواجب ان تعرف انها لاتستطيع خداعه . لقد كان الخداع تخصصه الذي برع فيه . ولكنه يبدو ان القدر هو الذي اوقعها

في هذا المازق تساءلت لماذا من دون مئات الحجرات في قصر "كازا جراندي" تقع في حجرة نوم "إميليو" ؟

وبدا انه ليس امامها اي مخرج . كانت نافذة على الطراز الفرنسي تؤدي إلى الشرفة الضيقة ، التي منها كانت تستطيع بصعوبة ان تسمع صوت الموسيقى و الضحكات آتية من اسفل . حيث تقام الحفلة على الجانب الآخر . كان في إمكانها ان تصيح بكل قوتها ولكن لن يسمعها احد . لقد كان "إميليو" على حق في ذلك .

اخذت تفكر في إمكان الهرب على طريقة سجين "إلكتراز" . كان في إمكانها ان تعقد الأغطية الحريرية الضخمة وتربطها بالشرفة . ولكنها رفضت الفكرة في الحال . إن حظها هذه الليلة جعلها تقتنع ان الأمر يمكن ان ينتهي بدق عنقها .

لم يقدم لها الحمام الداخلي او المشى اي امل في الهرب . لقد اصبحت تماما وكما قال لها في قبضته وتحت رحمته . اجلست نفسها بعصبية على المقعد ذي المسندين المغطى بالجلد الأسود والفضي وهي تحاول تجنب النظر إلى السرير الفسيح ونظرت بنفاد صبر في ساعتها ، كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل بقليل . تساءلت إلى متى سيحتفظ بها في ذلك المكان؟ واخذت ترتعد وهي تتذكر وقد علا الخجل وجهها منذ هجومه السابق عليها وتتساءل اي نوع من العقوبة يعني ؟ .

لعنت نفسها مرة اخرى لسذاجتها . لو كانت اكثر حكمة واكثر حرصا لما انتهت إلى ما انتهت إليه من كرب .

مرت ساعتان وقد انهكها القلق والتوتر من الانتظار فتمددت واستغرقت في النوم لحوالي ساعة ثم استيقظت وهي تحس بالم في رقبتها والتواء.

ذهبت وهي تتعثر إلى الشرفة وانصتت . لقد اصبح المكان في الدور السفلي ساكنا الآن . بدا ان الحفل قد انتهى . استدارت وعيناها على الباب وهي تحس بمعدتها تتقلص . الآن وفي اي لحظة قد يظهر "إميليو" ويتلذذ وهو يعلن عما سيصيبها . ولكن مرت نصف ساعة اخرى ولم يظهر له اي اثر . اخذت تقطع الحجرة في عصبية وهو

لايزال مختفيا لم يظهر . عادت إلى المقعد ذي المسندين والقت بجسمها عليه بكل قوتها . كانت كل عضلة في جسدها تؤلمها وكل جسدها يطالب بالنوم وظهر السرير الكبير امامها وقد بدا رطبا ومريحا ولينا ومغريا . ولكنها لن تفعل . إنها لن تستطيع ان تجبر نفسها على عبور الحجرة والتمدد فوقه .

كان السرير هو آخر مكان ارادت ان يجدها "إميليو" فيه . عندما يدخل اخيرا من الباب .

وظلت تنتظر وظل هو لا يحضر . وظلت قلقة عندما بلغ بها الإجهاد مبلغه فسقطت في نوم غير مريح .

استيقظت "هيلاري" في الحال عندما سمعت صوت المفتاح اخيرا يدور في الباب . جلست منتصبة وبدا يسودها شعور غبي مشوب بالنوم . كانت الحجرة تسبح في ضوء ذهبي دافئ نظرت إلى ساعتها . كانت التاسعة صباحا .

كان اول ما ظهر خلف الباب عربة محملة بالأطباق والآنية التي تتصاعد منها الأبخرة من القهوة واللبن وفي نهاية العربة ظهر شخص طويل القامة داكن البشرة وقد ارتدى ثوبا من الحرير الأسود بينما تناثر شعره إلى اعلى وإلى الخلف وهو مبتل من اثر الدش بينما ظهرت لحية دقيقة حول فكيه وذقنه . تريث بعض الوقت كي يبتسم ابتسامة سادية قبل ان يعيد غلق الباب ببطء وعن عمد ويضع المفتاح داخل ثوبه الحريري :

- صباح الخير يا "هيلاري" اتعشم ان تكوني قد نمت جيدا لقد ظننت ربما تكونين جائعة فاحضرت لك بعض الفطور .

ناضلت "هيلاري" كي تنهض من مقعدها وكان جسدها يؤلمها من راسها إلى قدميها وكانها انفقت الليلة بطولها في ماكينة طحين . حملقت إليه بحقد وقالت :

- كان من الممكن ان توفر على نفسك المتاعب فانا لا اريد الفطور . كل ما اريده منك في هذه الدقيقة ان تخرجني من هنا .

هز "إميليو" راسه في اسف تهكمي وقال :

- آسف يا "هيلاري" فهذه ليست خطتي مالم تريدي بالطبع أن تأخذي المفتاح عنوة بنفسك .

اخذت خطوة إلى الخلف دون إرادتها فقد كان هذا آخر ما تود أن تفعله ، لقد كان واضحا تماما حتى لعينيها غير المتاكدتين انه لم يكن يرتدي شيئا اسفل ثوبه الحريري تعمدت ان تبقي عينيها على وجهه وقد عقدت ذراعيها فوق صدرها في حركة دفاع وتجاهلت لون بشرته الداكن والظاهر من فتحة الثوب غير المربوط بإحكام سالته بحدة :

- ماذا تفعل هنا على اية حال إذا لم تكن قد حضرت لإخراجي ؟.

- لقد اخبرتك .. لقد احضرت لك فطورك .

- وانا لا اريده لذلك يمكنك ان ترحل .

استمر في الحديث متجاهلا قولها .

- واحضرت لك هذا .

نزع من يد العربة زوجا من الاكياس فيهما قطع ملابس والقى بهما فوق السرير بلا اهتمام :

- من اجل تغيير ملابسك فكرت في انك ربما تحتاجين إليهما بعد أن جلست في مكانك طوال الليل . ليس هناك ما يدعو إلى التمسك بالرسميات كما تعلمين كان من الواجب عليك ان تستخدمي السرير وانا اؤكد كذلك انه اكثر الأسرة راحة .

القت عليه "هيلاري" نظرة حادة اخرى وقالت في تجهم :

- اخشى انني لم اتعود النوم في اسرة الغرباء .

- حتى لو كان الغريب المقصود ينام كالطفل في غرفة اخرى .

- لم اكن اعلم ذلك . اليس كذلك ؟ .

- إذن انت ظننت انني ربما اعود ؟ .

سمح لعينيه ان تنزلقا فوق وجهها وكان تعبيره مغريا ومسرورا وماكرا وفهمت "هيلاري" بسرعة اي نوع من العقاب كان ... ان تترك في حالة من القلق كل الليل ولا تدري إن كان سيحضر ام لا ومتى سيكون ذلك .

عندما فتحت فمها كي تتكلم عما يدور في ذهنها وان الرجل مصاب بالسادية وحب تعذيب الآخرين قطع عليها افكارها :

- إذن انا آسف لانني خيبت رجاءك يا عزيزتي . إن هذا البحث التسويقي الخاص بك يجب ان ينتظر بعض الوقت وفي نفس الوقت هل تريدين استخدام الحمام أولا أم استخدمه انا ؟ "

ظلت "هيلاري" لحظات مذهولة ثم سالته :

- عن اي شيء تتحدث ؟ إن كل ما اريده هو ان تخرجني من هنا .

هز كتفيه بلا اكتراث :

- حسنا . سادخل اولا . لقد اخذت حماما بالفعل ولكني لم احلق ذقني ولن استغرق وقتا طويلا تناولي بعض الفطور في فترة الانتظار.

وجدت نفسها غاضبة وعاجزة ولا تستطيع ان تفعل شيئا سوى ان تتطلع إليه وهو يختفي داخل الحمام ويغلق الباب .

إنه يجعلها تدفع ثمن غلطتها . حسنا . وهو يتمتع بكل لحظة من انتقامه .

نظرت إلى عربة الطعام دون شهية . وجدت بيضا مقليا وفطائر الكرواسان والتوست الساخن المغطى بالزبد . صبت لنفسها كوبا من عصير البرتقال وشربته . بعد صراخ الأمس وجدت فمها جافا ومتصلبا ولكن معدتها كانت متوترة لا تقبل طعاما . حاولت ان تتجاهل اصوات رذاذ المياه والهمهمة المرحة الصادرة من الحمام فاخذت تذرع الحجرة بخطوات قلقة وهي تحس وكانها حيوان محبوس في قفص .

عندما فتح باب الحمام اخيرا توجهت نحو الباب الآخر المغلق ثم عندما دخل "إميليو" الغرفة قالت له في عناد .

- إنني في انتظار أن اخرج من هنا .

بدا وكانها لم تتحدث على الإطلاق إذ القى إليها ابتسامة غير مكترثة وقال:

- حسنا . لقد حان دورك الآن وفي اثناء وجودك في الحمام سارتدي ملابسي لم تتحرك وقالت :

- انظر ! إنني تعبت من هذا اللغز . ارجو ان تفتح قفل الباب وتدعني اخرج .

ظل اصم امام مطلبها ولم يلق عليها حتى نظرة واختفى خلف دولاب الملابس وخرج بعد دقيقتين بكومة من الملابس معلقة فوق ذراعه . شاهدته وهو يضعها فوق السرير ، قميصا وبنطلونا وملابس داخلية وجوربا واحست بدمها يغلي . إنه يتجاهلها عن عمد ويعاملها باحتقار ثم قالت بصوت اكثر علوا :

- ارجوك افتح هذا الباب!

استدار اخيرا كي ينظر إليها وقد استدار احد حاجبيه :

- لماذا لا تذهبين وتستخدمين الحمام ؟ اريد ان ارتدي ملابسي

- دعني اذهب وبعدها يمكنك ان تفعل ما تريد .

قال ويده تمتد نحو الحزام الذي يربط ثوبه وفتحه في تحد

- سافعل ما اريد على اية حال . إذا اردت ان تظلي هنا وتراقبيني فإنني ارحب بذلك .

- إنك لن ..

هز كتفيه :

- على راحتك .

ثم خلع الحزام بحركة واحدة وبدا الثوب الأسود ينزلق من فوق جسده .

قبل ان يسقط الثوب على الأرض جرت "هيلاري" عبر الحجرة نحو الحمام واغلقت بابه . كان خداها في لون قرمزي وقلبها ينبض بشدة . على اية حال لقد اصبحت الآن داخل الحمام فقررت انه من الأفضل أن تاخذ دشا

احست بانها لزجة وغير مرتاحة لانها قضت الليلة مرتدية ملابس الحفل . عندما وقع بصرها على نفسها في المراة ادركت انها تبدو

اسوا مما تشعر . كان قميصها والجزء العلوي من الثوب مكرمشا كالخرقة ، وكان شعرها مبعثرا غير منتظم . لاعجب ان "إميليو" ابتسم عندما وقع بصره عليها .. إن الليلة التي قضتها متقطعة النوم وبلا راحة قد بدت واضحة على وجهها .

اغلقت الدش وبدات تخلع ملابسها ثم تذكرت الملابس التي احضرها للتغيير . طرقت على الباب كي تثير انتباهه ثم نادت دون ان تفتح الباب :

- هذه الأشياء التي احضرتها .. ارجو ان تلقي بها إلي .

ساد الصمت برهة ثم قال لها :

- اخرجي وخذيها بنفسك .

- لن افعل .

كانت تعرف انه واقف هناك نصف عاره ساد الصمت فترة اخرى ثم قفزت بعيدا عن الباب عندما سمعت تكة مفتاح ويد الباب تدور من الناحية الأخرى - هاك ... كل ما عليك فعله هو ان تمدي يدك و تاخذيها ..

فتحت الباب بحذر فتحة ضيقة وهي تحاول ان تتجنب النظر . ومدت إحدى يديها كي تمسك بيجامة مقلمة فوق يد الباب . ثم سحبت يدها في الحال وكانها تخشى ان يمسك بها رغم ان تلك كانت فكرة غير معقولة . لقد كان بإمكانه في الليلة الماضية ان يعلمها درسا عن عمد حول إمكان الاعتداء عليها . ولكن "إميليو" لم يكن من هذا النوع من الرجال الذي يجبر نفسه على اقتناص المراة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها . حكمت بماراته في الليلة الماضية فإنه من الواضح ان النساء هن اللاتي يلقين بانفسهن عليه . اعادت غلق الباب بالمفتاح مرة اخرى ونزعت البيجامة من الغلاف " البلاستيك " . كانت بيجامة نسائية على احدث طراز لونها ابيض وبلوزة جميلة بلون زمردي ، كما علق في الشماعة صندل جديد بدون كعب . إذن لقد فكرفي كل شيء. قطبت "هيلاري" في قحة لنفسها وهي تعلق البيجامة خلف

الباب وخلعت ملابسها ودخلت اسفل مياه الدش وقالت في نفسها إنه فعلا لابد ان يكون قد فكر في كل شيء . ومتى لم يفعل ذلك ؟

بعد خمس دقائق عندما جففت جسدها في إحدى المناشف الضخمة ذات اللونين الأسود والأبيض ، بدات "هيلاري" تحس بانها عادت شبه إنسانة مرة اخرى بل بدت شبه مرغوبة وهي ترتدي ثيابها بسرعة ثم مشطت شعرها والقت به خلف ظهرها وهو متموج بشكل جميل . كانت البيجامة جديدة وجميلة وقد ساعد شعرها المرسل الطويل على إخفاء خطوط التعب التي ظهرت على وجهها.

بدا التغير الذي حدث لها واضحا على وجه "إميليو" عندما نظر نظرة رضا فيما بعد إليها عندما خرجت من الباب إلا انه اكتفى بالقول بملاحظة إمبراطورية :

- حسنا ... ارى ان هذا الزي مناسب .

كان جالسا على طرف السرير وقد ارتدى كامل ثيابه وقد احست بالراحة والخلاص من ذلك . كان يرتدي بنطلونا ازرق فاتحا وقميصا ازرق مفتوحا عند العنق بينما طوى كميه حتى مرفقيه. كان قد سحب عربة الفطور امامه وكان ياكل شريحة توست .

قالت له وهي مترددة إلى اين سيذهبان :

- رائع . ! إن هذا كرم شديد منك ومريح للغاية و ... كيف استطعت ان تحصل على تلك الملابس ..؟

رفع "إميليو" قدح القهوة ببطء ونظر إليها فوق حافته :

- اوه ... إنها ليست موجودة بالصدفة لقد احضرتها خصيصا من ملابس اختك إذا كنت تريدين ان تعرفي .

ابدت دهشتها ... "شقيقتي ؟" لقد تساءلت بالتاكيد كيف وجدت لديه ملابس نسائية وكان استنتاجها غير ما قال كانت لا تزال مترددة وقد ضايقتها الابتسامة التي ظهرت على وجهه :

- لقد افترضت ان تلك الملابس قد تركتها إحدى نسائك العديدات ... إنني لم استطع الا الاحظ ذلك في الحفل .. إن لديك "حريما" لاباس بهن

بدا مسرورا من اختيارها للكلمات ثم اضاف وهو يراقب وجهها وشفتيها المشدودتين :

- "حريمي" ؟ افهم من ذلك انك لا توافقين على ذلك ؟ .

هزت "هيلاري" كتفيها بشكل واضح وغير مهتم :

- لا اوافق ؟ .

ماذا يهمها من حياته الخاصة ؟ لم يكن يهمها ادنى اهتمام ان تعرف عدد النساء اللائي يمتلكهن ولا الأوقات المختلفة التي يقضيها بينهن في فراشه .

ولكنها لم تقاوم رغبتها في ان توضح في لهجة وقحة :

- ربما اكون دهشة قليلا . فمن الطريقة التي ذبحت بها اختي عن عمد ارى انك رجل على خلق رفيع .

تريثت فترة وهي تنظر إليه بعينين حديديتين :

- ربما مثلك مثل العديد من الرجال . انت تستخدم مستويين من المعاملة عندما يتعلق الأمر بالأخلاق الخاصة .

استمر يراقبها وهو يقضم التوست . كان يفحصها بعينيه السوداوين :

- حتى لو كانت افتراضاتك عني صحيحة من الناحية الخلقية فإن هناك عالما من الاختلافات بين سلوكي وسلوك اختك .

- لماذا ؟ الانها امراة وانت رجل ؟ .

ابتسم ابتسامة مقتضبة لطفت من خشونة وجهه :

- أوافق . وهناك هذا السبب بالتاكيد ولكن الاكثر من ذلك صلته بالموضوع يمكنني القول في الحقيقة إنها متزوجة بينما انا لست كذلك .

عندما التقت عينا "هيلاري" بنظراته العدائية ادهشها الاتهام الواضح في عينيه.

إذ إنها كانت تستطيع أن تحسها آتية من قلبه مباشرة . وفجاة لم يعد هناك اي مجال للشك لديها في انه يصدق كل كلمة قالها عن

"سالي" . إنه لم يكن كما سبق ان اتهمته مرة قد اخترع تلك الحكايات بغرض الإساءة لسمعة اختها عندما خفضت عينيها كان الشك يدور في داخلها . هل من الممكن بعد كل ذلك ان تكون هناك بعض الحقيقة في ادعاءاته الكاذبة ؟ .

منذ خروجها من الحمام ظلت "هيلاري" واقفة على قدميها وهي لاتميل إلى إعطاء انطباع بانها لا تريد سوى الرحيل . بدا "إميليو" ينهض هو الآخر على قدميه فاطلقت زفرة ارتياح وبدا وكان إطلاق سراحها اوشك ان يتحقق ولكنه في الحال حطم امانيها عندما قال لها :

- إنني راحل الآن ولكني ساترك لك عربة الطعام . اظن انه من الواجب ان اترك لك ما تاكلينه .

عندما نظرت إليه في رعب دون ان تفهم اضاف :

- لا اتوقع عودتي قبل المساء .

فغرت "هيلاري" فمها وصاحت :

- ماذا ؟ الن تتركني الآن ارحل ؟ .

هز راسه في رزانة قائلا :

- انا اسف . إنني لا استطيع ان اسمح لك ان تقطعي الجزيرة عدوا من اولها إلى اخرها تسالين السكان بعد ذلك . لم تتركي لي اي اختيار يا عزيزتي سوى ان احبسك .

- ولكن لا تستطيع ... لا تستطيع ان تجعلني سجينتك . ليس لك الحق في ذلك .

- ولا استطيع ان اغامر بان اتركك تنشرين إشاعاتك واقاويلك حول اسرتي في انحاء الجزيرة . لقد نصحتك ان تتصرفي بحرص ولكنك تزدادين نزقا يوما بعد يوم . انا اسف يا " هيلاري" ! إنني لا استطيع ان اسمح بذلك . في الحقيقة لم تعد تشعر بالرغبة في عمل اي شيء بعد اليوم من شدة تعبها وقررت ان تنتظر حتى يوم الاثنين كي تستانف تحرياتها قالت :

- وإذا وعدتك ان اظل في البيت ؟ .

إنها بعد ذلك لا تستطيع ان تعمل وفق الوحي الذي نزل عليها في منتصف الليل ولعنت نفسها لانها لم تفكر فيه من قبل . إن باستطاعتها ان تتصل بسكرتيرة "انطونيو" في مكتب "واكورماك" وترى إن كان في استطاعتها ان تطلب منها الحضور لإعادتها إلى الڤيلا .

قالت له محاولة :

- اعدك انني ساوي إلى الفراش مباشرة .

لم يبد "إميليو" اي رغبة في التلكؤ في مواجهتها وهز راسه قائلا :

- انا آسف يا "هيلاري" ولكني لا استطيع ان اثق بك لقد جعلت ذلك واضحا تماما .

- يمكنك هذه المرة وانا اعطيك كلمتي انني لن اغادر المنزل .

- لا يا عزيزتي ... إني آسف ...

- ولكنك لا تستطيع ان تبقيني محبوسة هنا .

تريث "إميليو" لحظة وبدا يفكر وضاقت عيناه وهو يقول :

- ربما يكون هناك بديل .. يمكنك مصاحبتي لنصعد جبل الصقر حيث انا ذاهب إلى هناك وهناك امر واحد مؤكد انه ليس هناك اية وسيلة تخدعينني بها .

نظرت إليه "هيلاري" في تشكك وهي لاتهتم إطلاقا باقتراحه . إن الخروج إلى جبل الصقر في صحبته امر غير سار اكثر من مكوثها في مكانها . ترددت وحاولت مرة اخيرة ان تثنيه عن موقفه :

- اعدك هذه المرة ان تثق بي . خذني إلى الڤيلا مرة اخرى وساقضي اليوم في السرير .

هز راسه في نفاد صبر وبدا يدور مبتعدا :

- حسنا ... لقد اخترت .... ستبقين هنا مغلقا عليك بالمفتاح .

بدات تسرع خلفه وهي تحس فجاة بالهلع :

- لا من فضلك ... لا تغلق علي الباب مرة اخرى إنني لا اتحمل ان

اظل محبوسة هنا طوال النهار .

- إذن انت تفضلين ان تاتي معي ؟ .

زفرت "هيلاري" وقالت في نفسها : إن كلمة تفضلين مناسبة لقد كان اختيارا ما بين الشيطان والسماء الزرقاء الصافية ، ولكنه عندما بدا يتحرك نحو الباب مرة اخرى تنفست نفسا عميقا وهرولت خلفه إنها ستختار هذه المرة الذهاب مع الشيطان قالت :

- حسنا ... سأذهب معك

www.rewity.com
مـــروريـــة

الفصل السادس

بعد نصف الساعة كانا يسيران في طريق جبلي ضيق وملتو تاركين بقية الجزيرة بعيدا خلفهما .

اسندت "هيلاري" ظهرها إلى المقعد الجلدي اللين للسيارة الفيراري وعودت نفسها على حقيقة انها لا تزال سجينة "إميليو" . كانا قد مرا على سيارتين في الطريق والاخيرة من حوالي نصف الساعة وكما اوضح لها فإنه سيكون مضيعة للوقت أن تحاول الهروب منه في ذلك المكان . مالم تكن بالتاكيد قد تخيلت أن تغامر بعودة طويلة مرهقة على الاقدام والتي تعد بالنسبة لحالتها الراهنة من الإرهاق أمرا مستحيلا تحقيقه . اخيرا استدار في نهاية الطريق الرئيسي إلى طريق اكثر ضيقا ثم عبرا بوابات حديدية كي يركن السيارة في ظل فناء واسع مفتوح . اخبرها "إميليو" ...

- ها نحن ... هنا نحتفظ باحبائنا الصقور الغالية .

جاء رجل غريب الشكل متسخ الثياب مسرعا نحوهما كان يبتسم عندما قال لها "إميليو" :

- هذا هو "أوسكار" المسؤول عن كل الطيور هنا وهذه هي "هيلاريي" صديقة شابة من انجلترا وهي مهتمة للغاية بعملك هنا .

ثم نظر إلى "هيلاري" وقال :

- هل انا على حق عندما قلت إنك مهتمة ؟ إذا لم تكوني كذلك فكل ما عليك ان تفعليه هو ان تعودي وتجلسي في السيارة .

كانت قد فكرت بالفعل ان تفعل ذلك كدليل على مدى عدم رغبتها في صحبته ولكن هواء الجبل النقي احياها وانعشها بعض الشيء وبدا انه مضيعة للوقت ان تحبس نفسها ، ابتسمت لـ"أوسكار" وتجاهلت "إميليو" :

- إنني فعلا احب ان ارى طيورك .

تبعت الرجلين عبر الفناء ثم عبرا مبنى ضيقا منخفضا جدرانه خشنة . اخبرها "إميليو" من فوق كتفيه :

- هذه هي الحظائر حيث تبقى الصقور ليلا .

ثم وقف "أوسكار" امام ما بدا نافذة مربعة صغيرة محفورة في الجداروقال له عندما انحنى "إميليو" ليلقي نظرة :

- انظر يا سيدي .

راقبت "هيلاري" إميليو" في فضول وهو يهز راسه وابتسم ثم قال بعض الملاحظات لـ"أوسكار" بالأميركيّة قبل ان يستدير نحوها ويقول :

- هنا القي نظرة يا "هيلاري" وخبريني ماذا ترين ؟.

في البداية كان كل ما استطاعت ان تراه في ركن احد الاقفاص الكبيرة خلف الزجاج طائرا ضخما راقدا وقالت :

- إنه صغير ! .

ثم دققت النظر اكثر ثم رات البقية وهي مسرورة .

- اوه ، إنها راقدة فوق البيض .

ابتسم "إميليو" في فخر وقال :

- اربع بيضات إذا توخينا الدقة وهي إنتاجنا الثاني هذا العام . إن تربية الصقور في الأسر ليس بالعمل الهين .

تبعت "هيلاري" الرجلين وقد ازداد فضولها في اثناء الجولة حول الحظائر وهي تنصت دون ان تفهم الحديث المتبادل المستمر بين الرجلين وإن فهمت على الاقل ان هناك رابطة من الصداقة بين الرجلين وكذلك الاحترام المتبادل وهو جانب من الجوانب التي لم يسبق ان راته في شخصية "إميليو" من قبل ، فهو بعيد تماما عن الوقاحة والتوتر ويتميز بالحماس الطفولي . لقد كان مهتما بطريقة بعيدة عن الانانية.

استدار نحوها بابتسامة غامضة وقال

- اود ان اقدمك إلى "خان" .

ساروا صفا واحدا إلى نهاية الحظيرة حتى وصلوا إلى فناء اخر اصغر وقد غطت الشمس جانبا منه باشعتها رات هناك طائرا لونه بني ورمادي واقفا فوق قطعة من الخشب مثبتة في الأرض ، وهو ينظر إليهم تقهقرت "هيلاري" ونظرت إلى ذلك المخلوق في تردد .

كان منقاره القوي بلون اصفر وقد قُد على شكل سنارة وعيناه كانتا قاسيتين سوداوين لا ترمشان :

- لقد ظننت انك احتفظت بالجميع في اقفاص

ابتسم " إميليو" وهز راسه ثم طمانها قائلا :

- ليست هناك حاجة إلى ذلك . إذا نظرت إلى ساقيه سترين انه مقيد وليست هناك اية وسيلة لهربه .

لم يكن في ذهن "هيلاري" في تلك اللحظة فكرة إمكان هرب الطائر . كان اهتمامها الرئيسي هو ان تبقى على مسافة مامونة بينه وبينها . لم يكن لدى "إميليو" بالتاكيد مثل افكارها تلك . نظرت في انبهار إلى "أوسكار" وهو يناول سيده قفازا من الجلد الذي سبق ان رات هواة

تربية الصقور يرتدونه ، وارتداه "إميليو" ثم عبر الفناء في ثقة نحو الصقر وحرره من قيده وسمح له ان يجلس فوق رسغه المغطى بالقفاز.

بدا بيده الحرة يداعب الطائر في صدره وهو يدع اصابعه تمر برقة فوق ريشه اللامع . قال لها بفخر :

- إن "خان" ليس افضل سلالتنا من الذكور فحسب ، ووالد الافراخ التي توشك ان تفقس بل ايضا هو بطل الصيد . ولقد دربته بنفسي .

بدا الطائر مستقرا في ثبات تام فوق رسغه ومع ذلك عندما بدا "إميليو" يقترب منها احست بتقلص في معدتها وابتسمت بطريقة ملتوية وقالت :

- إنه يبدو متوحشا للغاية .

قال لها "إميليو" مطمئنا :

- لا تقلقي . إنني ممسك به جيدا إلى جانب انه ليس متوحشا كما يبدو فانت في امان تام لانه ليس مثل الإنسان لايهاجم من اجل لذة الهجوم وإنما من اجل إطعام نفسه . وانبهك إلى ان "خان" يا "هيلاريا" قد تناول طعامه منذ قليل.

قابلت لمعان عينيه واحست بالراحة . عندما اقتربت ورات الطائر اصغر مما توقعت . كان لا يزيد على ثلاثين سنتيمترا في ارتفاعه وإن بدا شيء في تكوينه لم يشعرها بالامان على نحو ما . إلى جانب انها كانت تعرف بالغريزة انها كانت تستطيع ان تثق في "إميليو" . إذا قال لها إنها في مامن فلا بد انها كذلك وان تثق في ذلك . نظرت إليه واعترفت :

- إنه جميل للغاية .

هز راسه موافقا :

- إن طائرا مثل هذا يمكن ان يصل ثمنه في بعض الاماكن إلى عشرات الآلاف من الدولارات . إنه امير الصقور . وهو نادر الوجود ، هيا دلكيه وسترين كم هو اليف .

مدت يدها في إغراء فقال لها :

- استخدمي ظهر اصابعك هكذا .

لمست ريشة بظهر اصابعها وقد احست بالدهشة من مدى نعومته ودفئه بينما راقبها الطائر بعينيه السوداوين في يقظة وإن لم يبد مهددا . قال لها "إميليو":

- اترغبين في الإمساك به ؟

نظرت إلى "إميليو" وهي تحس برعدة من الخوف والخطر ولم تدر هل يمكن ان تجرؤ . فقال :

- لاتخافي ساراقبه واراقبك .

صمتت فترة طويلة ثم وافقت بهز راسها .

استدار "إميليو" نحو "اوسكار" العجيب وامره ان يحضر قفازا اخر ثم استدار ثانية نحو "هيلاري" وحثها :

- استمري في تدليكه وتعودي عليه ودعيه يتعود عليك .

بعد لحظات ظهر "اوسكار" ثانية وهو يحمل القفاز فلبسته . كان من الجلد الناعم وإن كان سميكا يحمي من الأظفار الحادة كالموسى . وقد سرت وهي تلاحظ انه قد وصل إلى منتصف ذراعها. قال لها :

- والآن مدي يدك وراحة كفك إلى اعلى ورسغك مشدود واجعلي حركاتك بطيئة وثابتة . وتذكري انك السيدة والمسيطرة . لابد ان توحي بالثقة للطائر .

مدت يدها وتحرك هو نحوها ومد يده ذات القفازنحوها وكان في اثناء ذلك يتكلم الكلمة إلى الطائر بصوت منخفض ومطمئن ومريح . وكانت تستطيع ان تحس الصلة العميقة الغريزية بين الرجل والطائر... قال لها :

- هذا حسن ... استمري ...

ظلت تركز عينيها على الطائر وهو يرفرف قليلا بجناحيه كي يحفظ توازنه ثم قفز ليستقر فوق رسغها احست "هيلاري" بالانتصار بدون إرادتها وعلت وجهها ابتسامة . كان "إميليو" يراقبها ثم هز راسه موافقا :

- احسنت ... هذا احسن .. استمري في تدليكه .

كان وزن الصقر اقل مما توقعت بينما احست بقبضته الفولاذية فوق ذراعها المحمية . بينما كانت اصابعها تدلك ريشه الناعم الحريري .استمر "إميليو" في الوقوف بجانبها والسلسة مربوطة بساق الصقر وامسك بها بخفة . وللحظات ادركت "هيلاري" بتلك الرابطة الغريبة بين ثلاثتهم ، ذلك الرجل القوي اسود العينين والصقر وهي . احست لحظة سريعة ان الثلاثة اصبحوا اولا واخيرا واحدا ثم ذهبت تلك اللحظة ثم سالها "إميليو" :

- هل ترغبين في رؤيته وهو يطير ؟ .

هزت راسها موافقة وهي تتجنب عينيه وتتساءل إذا كان يشعر بنفس ما تشعر به ثم قالت :

- نعم ... احب ذلك .

كانت تجربة غير عادية . قاد سيارة مفتوحة إلى نقطة عالية منعزلة تطل على الوادي . كان خلفهم جبل الصقر يسبح في ضوء الشمس الساطع وامامهم يمتد إلى مالانهاية البحر الازرق المتلالئ . كان قد البس الصقر من أجل الرحلة قمعا ضخما فوق الراس من الجلد القرمزي وبه ريش وردي . شرح "إميليو" :

- كي يبقى هادئا .

بعد ذلك وصلوا إلى حافة الصخرة وفي لحظة مبهرة مليئة بالإثارة حرر الصقر من القمع الجلدي واطلق سراحه إذ صعد بلاجهد في الفضاء في السماء الزرقاء .

احست "هيلاري" انها في لحظة يقظة وانبهار واخذت تراقب الصقر وهو يرفرف بجناحيه الواسعين اللذين اخذا يرفعانه عاليا وقد تاثرت بلون الشمس الذهبي . كان "إميليو" بجانبها :

- جميل ... اليس كذلك ؟ .

- بلى إنه ياخذ بالألباب ! .

احست به يبتسم . لمس ذراعها وقال :

- ارى اننا استطعنا ان نغيرك .

قاد السيارة بعد ذلك إلى منطقة هادئة وجلسا فوق العشب الدافئ وهما ياكلان شطائر اللحم البارد ويشربان مشروبا باردا من ثلاجة رحلات كان "اوسكار" قد اعدها من اجلهما .

رفع "إميليو" كاسه نحوها وقال باميركيّة :

- سالوتي !

- في صحتك

ابتسمت له "هيلاري" وراقبته واهدابها مسدلة وهو يشرب وهي تحس بمعركتين تتصارعان داخلها .الرغبة الملحة في ان تسترخي معه وأن تتمتع فقط بصحبته التي كانت رغما عنها . وادركت انها ليست مهمة صعبة . والعكس، الرغبة الاكثر إلحاحا ان تبقي دفاعاتها قائمة .

ابعدت نظرها في غير ارتياح بعيدا عنه كي تحملق لحظات إلى المنظر الطبيعي الممتد . ثم عادت ونظرت إليه مرة اخرى وهو يستند بطريقة عارضة إلى جذع شجرة . سالته :

- ما هو شعورك عندما تنظر إلى كل هذا وتحس انه ملكك ؟

ابتسم واسند راسه إلى الخلف وهو يراقبها بعينين صريحتين !

- إنني اشعر وكان هذا امتياز خاص وضخم ، وبشيء من المسؤولية استمرت تراقبه وعيناها على وجهه وهي مدركة مدى الوحدة التي ظهرت عليه سالته :

- لابد انك كنت صغيرا جدا عندما ورثت لقبك ؟

- كنت في الثانية والعشرين فقط . لقد قتل والدي في حادث سقوط طائرة هليوكوبتر .

نعم ! لقد سمعت عن موت ابيه الهرم من "سالي" . نظرت في كاس شرابها وقالت :

- لقد كنت في الخامسة عشرة عندما مات ابي .

- إذن لدينا شيء مشترك بيننا .

ضحكت "هيلاري" ضحكة قصيرة ساخرة وقالت :

- اتظن ذلك ؟ .

ربما كانا قد تركا بلا ابوين في سن مبكرة نسبيا ولكن في ظروف مختلفة تماما :

- لست مثلك ، لم ارث جزيرة ولا لقبا . بل اما حزينة مصدومة بلا مال وابنة صغرى تحتاج إلى الرعاية الكاملة .

نظر إليها "إميليو" وقال :

- هل لا تزال امك على قيد الحياة ؟ .

- بلى ... حية وصحيحة . وقد ذهبت منذ زواج "سالي" لتعيش مع اختها في "برستول" ... وانا اذهب لزيارتها كلما اردت ذلك . اما اسرتك فانا افهم انها اكبر بكثير .

- لي ثلاث شقيقات وثلاثة اشقاء إلى جانب "انطونيو" كما تعلمين الذي هو ابن عمي الحقيقي .

ابتسمت "هيلاري" في تفهم :

- يالها من عشيرة !

بينما ارتشفت رشفة من شرابها . قالت : لاعجب ان "سالي" كانت تشعر بالغربة والضيق وكل هؤلاء الاقارب يتنفسون في عنقها . قال "إميليو" وكانه يقرا افكارها :

- إن العائلات الكبيرة نوع من التقاليد في "سيسيل" ومع ذلك فإنه عدا امي فإن لي اختا واحدة تعيش في الجزيرة والبقية متفرقون في مناطق مختلفة من اميركا .

لم تستطع "هيلاري" ان تكتم ضحكة مرحة وتعليقا لاذعا .

- لابد انهم كانوا شغوفين بالهروب من قبضتك .

ابتسم :

- ربما كنت على حق ، وربما لان اصولهم هناك ولكن عبر الاجيال لابد من وجود عائلات من اصل "واكورماك" فوق جزيرة ميلانو".

- عبر الاجيال ! لابد انه كان يشير إلى اسلافه هو دون شك .

احست "هيلاري" بالراحة والمزاج الوائق فقررت ان تغامر بسؤال شخصي :

- لماذا لم تتزوج ؟ اليس من الواجب ان تنجب ورثة ؟ .

- لا تقلقي يا عزيزتي ! إنني انوي ان انجب العديد منهم .

كان مثبتا عينيه عليها ثم انحنى إلى الخلف واجاب عن سؤالها .

- إنها قصة قديمة على ما اظن .. إنني لم التق بالفتاة المناسبة .

بدت "هيلاري" غير مصدقة فقالت مؤنبة :

-ومع هذه المجموعة الضخمة والمنتقاة .

ضحك وقد رق تعبير وجهه :

- اتقصدين "الحريم" ؟ يا عزيزتي "هيلاري" إن حجم المجال ليس هو المهم وإنما النوعية . بطريقة او باخرى يا عزيزتي مرت بكل منا حالة مثل حالتك مع "رودي" .

احست "هيلاري" بشيء ما يتوتر في داخلها ويشتد عند هذه الملاحظة غير المتوقعة على الإطلاق . لقد قالها وهو امر حقيقي ولكنه كان صريحا تماما . بدا وكانها حركة من التعاون والتناسق بين حالتيهما . نظرت إلى "إميليو" وبدا لها وكانها امسكت بلمحة من ذلك الرجل وهو في حالة عدم تحفظ . هل من الممكن ايضا انه هو ايضا قد واجه تجربة خيبة الأمل في الحب ؟ .

هل إميليو واكورماك شخص اعتباري عادي بعد كل ذلك ؟ .

احست بطعنة مؤلمة في داخله فنظرت بعيدا . هناك جوانب خفية فيه . إنه مجموعة من التناقضات والمفاجات مثل تلك المساحات الطبيعية الفسيحة والممتدة والمتقطعة امامها والتي تحيط بهما .

بدا ان الوقت مر بسرعة عندما بدات الشمس تغرب ، عادا بالسيارة إلى المزرعة كي ياخذا السيارة " الفراري" ثم شقا طريقهما إلى طريق الجبل وهما لا يتحدثان كثيرا وإنما ساد بينهما صمت وتعاطف . وعندما استندت "هيلاري" بظهرها في مقعدها وهي تحس بالاسترخاء وبالنعاس اللذيذ وجدت نفسها تعترف لنفسها بان اليوم لم يتحول

إلى محنة مؤلمة كما توقعت بل على العكس من ذلك إنها في هذا اليوم قد تمتعت بالفعل .

عندما انزلها "إميليو" عند "الڤيلا" تريثت وهي تضع إحدى يديها على باب السيارة وسالته شبه متحدية وشبه معاكسة :

- وماذا عن الغد ؟ هل تخطط ان تاتي وتسجنني مرة اخرى ؟ .

استدار ببطء كي يقابل عينيها :

- سنفكر في الغد عندما ياتي ياعزيزتي . ولكن لا تقلقي سابقي عينا عليك وفي نفس الوقت اقترح ان تحصلي على بعض الراحة .

تريثت فوق الشرفة كي تراقبه وهو ينصرف وهي تحس بشعور غريب من السلام . قررت ان تاخذ حماما وتذهب إلى الفراش . يالها من نهاية هادئة ليوم متوحش .

لم تكن معدة للصدمة التي كانت في انتظارهاعندما دخلت حجرة الجلوس كي تجد "سالي" تنتظرها هناك .

- "سالي" ! لماذا لم تخبريني انك اتية ؟ .

اسرعت "هيلاري" وهي تشهق في مزيج من الدهشة والسرور عبر الحجرة كي تحتضن اختها . ثم امسكت بذراعها في عطف واجلستها بجوارها على الأريكة وقد احست فجاة بان قلبها ينقبض وهي تنظر في عيني الفتاة الأخرى كانت خطوط التعاسة والتوتر التي راتها في لندن فوق وجه الفتاة قد ازدادت عمقا بعد ان كان وجهها في يوم ما وجها طفوليا بريئا . وبدت اكثر نحافة ايضا واكثر شحوبا واصابعها تلعب في عصبية في قماش ثوبها . نظرت إلى "هيلاري" وقالت :

- لقد كان من الضروري ان احضر .لقد كنت مع "إميليو" فقد رايت سيارته الم يهدا بعد ؟ هل قال لك اين "انطونيو" ؟

هزت "هيلاري" راسها مع زفرة حارة وقالت :

-إنه يرفض ان يتزحزح بوصة . ولكني استطعت ان احصل على شيء ما من "مارك ماردیني" .لقد قال إن "انطونيو" ذكر رحلة عمل إلى "هامبورج" او ربما إلى "روتردام" وهو ليس متاكدا . لابد من طريقة

نستطيع بها الاتصال به هناك. لقد كنت افكر في الاتصال هاتفيا بسكرتيرته غدا ما لم تساعديني انت ، لا بد انك تعرفين بمن يتصل هناك .

هزت "سالي" راسها :

- إنني لم اذهب معه إلى اي من المكانين قط وقد فكرت بالفعل في سكرتيرته وقد اتصلت بها امس ولكنهم اخبروني انها رحلت في عطلة ولايوجد احد اخر في المكتب يمكن ان يساعدني .

لم تستطع "هيلاري" ان تكتم غيظها . لقد كانت سكرتيرة "انطونيو" هي اخر ورقة في يدها .

كانت "سالي" تحملق إلى اصابعها وهي لاتزال تعبث بطرف ثوبها .

- لم يذكر "انطونيو" قط اي رحلة عمل لي . ويبدو ان "مارك" يعرف عنه اكثر مني . يالها من مصيبة . لقد بلغ بي الضيق مبلغه .

سقطت الدموع من عينيها . احست "هيلاري" بجسدها يتصلب

- ماذا تعنين ؟

ساد صمت طويل ، عندما رفعت "سالي" عينيها بدتا حمراوين مليئتين بالدموع والبؤس . اكملت "سالي" في صمت مهزوز :

- لا تقولي لي إن "انطونيو" لم يخبرك بالفعل .

عرفت عندئذ "هيلاري" ماسيحدث . لقد بدات تشعر بالرعب ولكنها ارادت ان تعرف ذلك من فم "سالي" التي قالت لها وهي تشعر فجاة بالبرودة :

- قال لي ماذا ؟ .

ساد صمت طويل مرة اخرى ثم زفرت "سالي" وقالت :

- لقد عقدت الأمور حقيقة .

ثم زفرت مرة اخرى واحست "هيلاري" بالالم الذي بداخلها حيث اعترفت في صوت منخفض

- لقد ارتكبت الخطيئة الكبرى لقد وقعت في حب رجل اخر .

احست "هيلاري" بالالم في داخلها . لقد كانت تامل ان تكون مخطئة

مدت يدها المهتزة وامسكت بيد "سالي" وسالت :

- لماذا ؟ بحق السماء .

بدت "سالي" لحظة طويلة غير قادرة على الكلام . ظلت ممسكة بيد اختها كالطفل وكان صوتها يسمع بصعوبة . اجابت اخيرا .

- لقد كان ذلك لانني كنت تعيسة جدا . لقد كان "انطونيو" بعيدا عن البيت معظم الوقت . لقد بدات بقبول الدعوات على الغداء بصفة عرضية . مجرد غداء . واعتقد انني فعلت ذلك على الرغم من "انطونيو" وفعلت ذلك ايضا كي يدرك إذا سمع بتلك الدعوات ان يعرف انه يهملني .

توقفت كي تمسك وجهها بيديها عندما انسابت الدموع حارة فوقها ثم قالت - ولكنه لم يفعل ، بدا وكانه لم يدرك ماذا يجري . لابد انني تركت حواسي على علاتها ولم اقصد ان تصل الأمور إلى ذلك المدى . إنني لم احب رجلا سوى "انطونيو" إطلاقا .

احست "هيلاري" بقلبها ثقيلا في داخلها . لقد كان ما تقوله بالضبط ما قاله "إميليو" وفجاة فهمت هي الأخرى ان رسالة اختها غير الواضحة في ذلك الوقت " عندما ترين "انطونيو" اخبريه انني اسفة ". لقد فهمت الآن ان الأمر ليس مجرد معركة كلامية تعتذر عنها . لفت ذراعها حول شقيقتها وقالت فقط اوه يا "سالي" . استمرت "سالي" من بين دموعها :

- لقد جن جنون "انطونيو" عندما اكتشف الأمر وحدثت بيننا تلك المشادة الرهيبة المرعبة . اخبرني انه كرهني وهددني بإلقائي خارج الجزيرة وظننت انه سيهدم البيت وفي النهاية لم اعد احتمل الأمر .اخبرته انني سأعود إلى انجلترا واصحب معي "جينا" .

زاده ذلك جنونا واضطررت في النهاية إلى ان اهرب .لذلك اخذت السيارة وخرجت في جولة كي اتيح له الوقت كي يهدا ولكني عندما عدت إلى المنزل كان قد اخذ "جينا" ورحل ...

زفرت "هيلاري" في تفاهم . لقد اصبحت القصة المؤلمة اخيرا لها

معنى . كل ما فعله "انطونيو" الأب المخدوع ان اختطف ابنته كي يمنعها من اخذها إلى انجلترا . قطبت وهي تريت شعرها اختها :

- كيف اكتشف "انطونيو" تلك العلاقة ؟ .

- احد اصدقائه كان قد رانا معا .

- إذن ... لم يكن هو الذي راكما.

لسبب ما احست "هيلاري" بالسرور عند سماعها ذلك ولكنها اضطرت إلى السؤال :

- لماذا قلت لي في البداية إن ذلك كله بسبب غلطة "إميليو" ؟

مسحت "سالي" وجهها بظهر يدها وقالت :

- لقد كنت اشعر بالخجل الشديد بحيث لم استطع ان اقول الحقيقة وظننت انك قد ترفضين مساعدتي إلى جانب ان "إميليو" لم يساعد تماما على إصلاح ما بيننا . إنه يحكم حياة "انطونيو" وهو ينصت إلى "إميليو" اكثر مما ينصت إلي . اوه يا "هيلاري" إن حياتي كلها محطمة . لقد فقدت زوجي وفقدت طفلتي . إنني حتى لا اعرف اين توجد ابنتي .

حاولت "هيلاري" ان تهدئها

- على الاقل انها في مامن وانا متاكدة من ذلك وكان ذلك حقيقيا . ربما كان "إميليو" قد رفض المعاونة ولكنها تعرف تمام المعرفة انه لن يسمح باي ضرر يصيب الطفلة . نزعت ذراع اختها من حول عنقها واجبرتها على ان تنظر في عينيها وقالت لها بهدوء :

- الليلة .... ستمكثين هنا معي . ثم اول شيء في الصباح نفعله هو ان نذهب إلى "إميليو" ونتكلم معه ، لابد ان تخبريه بما قلته لي وان تقنعيه كما اقنعتني بانك اسفة على ما حدث .

اطلقت "سالي" انة احتجاج :

- لا استطيع ! لا استطيع ان اواجه "إميليو" .

هزت "هيلاري" راسها واصرت :

- بل يجب ! وفي هذه المرة بطريقة او باخرى لابد ان نحصل على

بعض الإجابات منه .

بعد تناول الفطور في صباح اليوم التالي مباشرة قادت الفتاتان السيارة إلى قصر "كازاجراندي"

كانت "سالي لاتزال في عصبية بالغة بشان المواجهة المقبلة فقالت موضحة عن الزمن القادم .

- كان من الضروري أن نحدد موعدا فـ"إميليو" لا يحب الناس الذين يهبطون عليه دون سابق موعد مثلنا .

- إن هذا ليس بالأمر السيء . لقد حان الوقت لكشف غموض هذا اللغز .

عندما وصلتا إلى المدخل الرئيسي واستدارتا نحو الفناء الذي تتوسطه نافورة تنثر مياها ملطفة قالت "هيلاري" :

- لاتكوني عصبية وركزي فقط على ما ستقولينه له .

التقتا عند الباب الرئيسي المنقوش برئيس خدم يلبس الزي الأزرق والأسود المعتاد ، ثم طلب منهما أن تنتظرا في البهو بينما اختفى في الداخل حيث يوجد هاتف داخلي كي يجري اتصالات سريعة مع "إميليو". بدا وجه "سالي" قلقا ومشدودا وحثتها "هيلاري" كي تفرد وجهها قائلة :

- تجلدي وتذكري انه كلما اسرعت بإقناع "إميليو" كان في بإمكانك ان ترى "جينا" و"انطونيو" مرة اخرى .

بعد لحظات عاد الخادم للظهور مرة اخرى وقاد الفتاتين نحو المصعد . عندما لاحظته "هيلاري" . وهو يضغط الزر على الدور الثاني لاحظت ذلك وهي حزينة و تتنهد داخليا بنوع من الارتياح . إن الأمور لاباس بها حتى الآن على الاقل وافق "إميليو" على مقابلتهما .

كان جالسا خلف المكتب وظهره نحو النافذة المفتوحة التي كانت تسمح بدخول مربع قوي من الضوء . عندما خطت "هيلاري" متقدمة اختها داخل الحجرة طرفت بعينيها من شدة الضوء الفجائي بينما تقلصت معدتها عند رؤيتها إياه. كان مرتديا قميصا ابيض شبه

مضيء امام النور وكانت ملامحه في نصف الظل بينما لمع شعره الأسود .

اخذت تقوي من ذهنها . تكلم "إميليو" اولا قال بلهجة باردة وهو يوجه الحديث إلى "هيلاري" :

- إنني لا اذكر اننا حددنا موعدا لهذا اللقاء .

كانت لهجة "هيلاري" في مثل برودة لهجته بينما احست بـ"سالي" وهي تتململ بجانبها .

- نعم لم نفعل ومادمنا هنا في امور عائلية فقد افترضت أن الموعد المسبق غيرضروري. وعلى اية حال إذا كنت مخطئة ولديك اعمال مهمة لها الاولوية فإننا سنكون اكثر سعادة بان نرحل وتعود في وقت اخر .

اتت بحركةوكانها تستدير كي نرحل وقالت :

- إننا نكره ان نفرض انفسنا عليك نت اجل امر تافه بينما هناك امور مهمة تشغل ذهنك.

عندما تعودت عيناها على الضوء ظنت انها رات ابتسامة واهنة تعبر وجهه . قال :

- هذا ليس ضروريا . ومادمتما هنا فاستطيع ان اقتطع بعض الوقت .

- يا له من عطف !.

استدارت "هيلاري" مرة اخرى وهي تاتي بحركة متهكمة و تشعر بالسرور اكثر من نفسها للطريقة التي عالجت بها الأمر ثم اضافت بطريقة لطيفة :

- بشرط ان تكون متاكدا من اننا لا نقاطعك ...

القى "إميليو" القلم الذي كان ممسكابه فوق المكتب واشار إلى مقعدين مكسوين بالتطريز لهما مسندان مستقيمان في مواجهته :

- إذن دعونا نسمع ما اتيتما لقوله . اليس كذلك ؟

بدا وكانه لا يعرف . جلست ودعت "سالي" ان تحذو حذوها وقابلت

نظراته على نفس المستوى . لاحظت في غضب انه لم ينظر ولو مرة واحدة إلى اختها. بدت وكانها ليست موجودة . اشارت إلى الوجه الصامت بحركة مختصرة:

- لقد حضرنا إلى هنا من اجل "جينا" و"انطونيو" كي نطلب منك ان تكشف لنا عن مكانهما .

رفع احد حاجبيه وبدا نوع من الدهشة في لهجته :

- تسالين ؟

كانت توشك ان تستسلم وقالت :

- نعم اسال . ليس لك الحق في ان تخفي المعلومات عن اختي . إنه من حقها ان تعرف اين يخفي زوجها ابنتها . وليس من حقك ان تصدر احكاما ضدها . ماحدث هو بين اختي و"انطونيو" ولابد ان يشجعا كي يعودا كل منهما إلى الآخر وان يحلا خلافاتهما بينهما :

قال "إميليو" مركزا على عباراته :

- خلافات ؟ اتسمينها كذلك ؟ اتعنين ان من الواجب تشجيع "انطونيو" على غفران الخيانة ؟ .

القت "هيلاري" نظرة سريعة على "سالي" . كانت هذه هي اللحظة المناسبة كي تطلق دفاعها ولكن "سالي" لم تخرج اي صوت . كانت تحملق إلى الارضية وكانها مثبتة فيها نظرت "هيلاري" مرة اخرى إلى "إميليو" وقالت :

- لقد قلت مرة بنفسك على ما اتذكر ان الامر ليس شانك ام ربما نسيت ذلك؟ هز راسه وقال :

- لم انس . وبقدر ما اتذكر انني لم اجعل الموضوع من شؤوني ويبدو انك انت التي تشتاقين إلى التدخل .

عضت "هيلاري" شفتها :

- فقط لانني اريد ان يسود العدل .. إن اختي في وضع ليس في صالحها وهي تريد شخصا كي يقف بجانبها عندما تصبح كل قبيلة "واكورماك" ضدها .

القى إليها ابتسامة منهكة :

- إنني لا ارى احدا متعصبا ضدها وإنما فقط ارى زوجة غير مخلصة تدفع ثمن خيانتها .

- الا ترى ان فقدها لابنتها ثمن غال اكثر من اللازم .

- لست انا الذي حددت الثمن يا عزيزتي "هيلاري" ! ولكن مادمت قد طلبت رايي فإنني مضطر إلى الاعتراف ان قلبي لايدمي من الشفقة .

حملقت إليه عبر المكتب وقد احست بالبرودة من قسوة نظراته ، سالته بسخرية :

- اي قلب ؟ .

ولكنه قاطع ملاحظتها :

- كان من الواجب عليها ان تفكر في طفلتها قبل ان تقفز إلى السرير مع.!! صاحت "سالي" غاضبة ونهضت على قدميها :

- اترين ؟ لقد قلت لك .

كان وجهها شاحبا عندما استدارت نحو "هيلاري" وقد لمعت دموع الياس والتوتر في عينيها :

- لقد قلت لك إن ذلك مضيعة للوقت ان نحضر إليه . إنه لن يفعل اي شيء ليساعدني ، إنني لن امكث هنا كي يهينني فقد نلت كفايتي من ذلك

بعد لحظات اتجهت نحو الباب . احست "هيلاري" بان قلبها يسقط في قدميها وهي ترى اختها ، صاحت فيها :

- عودي يا "سالي" ! .

كان ذلك اسوا ما يمكن ان تفعله "سالي" . إن تصرفها كولد عاق يمكن ان يثير "إميليو" عليها . عندما صفقت الباب بدات تسرع وراءها صائحة :

- انتظري يا "سالي" .

ولكنها لم تسر سوى خطوتين اخريين .كان "إميليو" قد نهض وانحنى نصف انحناءة فوق المكتب . كان وجهه عاصفا وصوته آمرا

ومحذرا :

- اتركيها ... دعيها تذهب .

ترددت "هيلاري" بصورة الية وبدت تترنح في منتصف الحجرة . فرد نفسه ببطء ودار حول المكتب وقال :

- إذا ارادت ان تلعب دور الفتاة الفاسدة المدللة فدعيهاتفعل ذلك . اظن يا "هيلاري" انك حصلت على كل البراهين التي تحتاجين إليها على عدم نضج اختك

حملقت إليه باتهام :

- لقد دفعتها إلى ذلك ! لماذا فعلت ذلك ؟ لقد كانت متضايقة بما فيه الكفاية. استند إلى المكتب بنفاد صبر :

- توقفي عن ان تظلي مربيتها يا "هيلاريا"ودعيها تتعلم كيف تقف على قدميها بمفردها .

- ايمكنك ان تصبح قاسيا إلى هذه الدرجة ؟

لوى شفتيه في ابتسامة مسرورة وقال :

- اتظنين ذلك ؟ افضل ان اسمي ذلك واقعية ... اي مواجهة الواقع.

- اعتقد انك تستطيع ذلك .

رفع حاجبا متسائلا :

- لماذا لاتحاولين ذلك احيانا ام هل تنوين قضاء بقية حياتك في الجري خلف اختك الصغيرة وإزالة اي معوقات تقابلها .

- إذا رغبت في ذلك ! وبالتاكيد لن اسالك الإذن لي بطريقة او باخرى . قد تستطيع ان تدير حياة اي شخص اخرهنا ولكنك لن تستطيع إدارة حياتي .

راقبها "إميليو" لحظات وهو يفكر ثم سال :

- هل تسارع اختك إلى إراحتك عندما تقعين في المتاعب ؟

قطبت "هيلاري" في وجهه وفجاة تذكرت ان "سالي" لا يمكن ان تفعل ذلك قالت:

- بالتاكيد لا ... إني لا اتوقع منها ان تفعل ذلك .

- إذن لمن تلجئين يا "هيلاريا" عندما تحتاجين إلى لمحات عطف ؟ وقد اخبرتني بنفسك انك تعرضت للكثير منها .

نظرت إليه نظرة كراهية ، لقد كانت الحقيقة في كلامه ؛ فباستثناء امها في اثناء طفولتها لم يكن بجانبها احد تقريبا ، ردت عليه مدافعة.

- إنني لا احتاج إلى اي شخص يواسيني ويمسح دموعي ، ربما انا مثلك مكتفية تماما بذاتي .

- إنك تمدحينني .

- اؤكد لك ان ذلك لم يكن في نيتي .

استمر واقفا في مكانه وهو منحن على المكتب ينظر إليها بكل عينيه وسالها .

- إذن الامر حقيقي ؟ هل انت حقيقة ..؟

ردت عليه بعنف وهي متجهمة :

- حقيقة انا ماذا ؟ .

- معتمدة على الذات كلية .

- احب ان اظن ذلك .

هز "إميليو" راسه وفرد نفسه قليلا :

- اه يا عزيزتي "هيلاريا" إن هذا الامر يعد مضيعة للوقت إذا تعلق بانثى حسناء مثلك .

كانت تعلم انه سيتحرك نحوها وارادت ان تتحرك بعيدا عنه وان تهرب من التهديد الذي بدا فجاة واضحا ولكنها احست بانها شاخصة في مكانها مثل الأرنب امام الأنوار العالية للسيارة فكرت ان اية حركة قصيرة تجعلها تقع مرعوبة بين ذراعيه .

في هذه اللحظة بالذات اختارت "سالي" لحظة دخولها حملقت إلى اختها ثم إلى "إميليو" وقالت :

- لقد اتيت لأعتذر .

كان قلب "هيلاري" صاخبا مثل الجرس في صدرها .

لقد انقذت في الحال من شيء اوشك ان يدهمها .

ولكنها لم تكن واثقة انها كانت تريد ان تنقذ من ذلك الذي كانت تخشاه ، كانت لا تزال تصارع كي تتمالك نفسها وراقبت "إميليو" وهو يستدير ويستجيب بعنف من فوق كتفيه :

- كان بإمكانك ان توفري على نفسك الحرج ، حقيقة لم يكن هناك اي داع لذلك .

- اوه .. ولكن هناك ..

بدا نوع من الحزم غير المعتاد في صوت "سالي" وهي تسير وقد فردت ظهرها عبر الحجرة كي تقف امامه مباشرة ، كان رأسها مرفوعا

- لقد احضرتني "هيلاري" إلى هنا كي استطيع ان اشرح الموقف وهذا بالضبط ما انوي فعله .

عندما بدا على "إميليو" انه سيقاطعها استمرت في حزم .

- لقد ارتكبت غلطة شنعاء ، لقد تصرفت بسخافة وانا اسفة تماما انني فعلت ذلك ، لا اظن انني ادركت جدية ما انا فاعلة إلا بعد فوات الأوان .

احست "هيلاري" فجاة بالرغبة في الدفاع فقاطعت "سالي" ولكن الأخيرة اسكتتها بحركة من يدها وقالت :

- قد لا يصدق اي واحد منكما هذا لكني كبرت كثيرا في الأسبوع الماضي إن خوفي من احتمال فقداني طفلتي كان اكبر صدمة تلقيتها في حياتي وكذلك خوفي من فقدان "انطونيو" ايضا . إنني احبهما وهما كل حياتي . إنني اعلم وانا واثقة تماما انني لو اتيحت لي فرصة ثانية فإنني لن افعل شيئا آخر مرة اخرى يمكن ان يهدد عائلتي باية طريقة .

نظرت إلى "إميليو" بثبات :

- اعرف انك كنت تعتبرني دائما غير ناضجة ومدللة وفاسدة وربما إلى حد ما انت على حق . ولكني تغيرت واقسم على ذلك . إذا منحتني فرصة فسأثبت ذلك لك .

اخذت نفسا عميقا واكملت :

- إن كل ما اطلبه هو مساعدتك لي في العثور على "انطونيو" حتى يمكنني إصلاح الأمور معه .

بعد ان وصلت إلى نهاية خطبتها العصماء ساد الغرفة صمت مطبق . حبست "هيلاري" انفاسها وقد تنقلت نظراتها ما بين اختها كي تستقر على "إميليو" بالتاكيد كانت تصلي في نفسها وهي واثقة من انه تاثر من حركة "سالي" ودفاعها تلك لحظة لانهاية لها . كانت عينا "إميليو" مثبتتين على "سالي" في نظرة غير واضحة وفجاة استدار مبتعدا إلى المقعد الموجود خلف مكتبه وجلس عليه وقال في صمت حاسم وهادئ :

- حسنا ساتصل بـ"انطونيو" .

ثم القى نظرة نحو "هيلاري" وقال :

- لدي انباء هذا الصباح عن مكانه . وساطلب منه ان يعود في الحال إلى الجزيرة . وما سيحدث بعد ذلك فيرجع إليك .

احست "هيلاري" بتيار من العرفان يسري في داخلها عبرت الحجرة نحو "سالي" ووضعت ذراعها حولها إذا بدات الفتاة الصغيرة تنهار وتنهمر الدموع من ماقدها وتسقط على وجهها ثم نظرت إلى "إميليو" وقالت :

- شكرا لك .

كان يراقب المنظر بنظرة غريبة وبعينين ساهمتين :

- لا تشكريني . إن الحل لهذا الموضوع يكمن في يدي اختك وابن عمي وليس في يدي . ولا في يديك يا عزيزتي "هيلاري" يمكنك ان تسترخي الآن فليس هناك ما يمكنك فعله اكثر ما فعلت هزت راسها موافقة فقد ادت مهمتها .

كانت العينان السوداوان لا تزالان مثبتتين فوقها ابتسم :

- يمكنك العودة الآن إلى انجلترا وانت تعلمين انك حققت اهدافك .

نظرت إليه "هيلاري" وهي تحس بالبرودة في كلماته .

إنه يطلب منها مرة اخرى ان مريح وليس لديهاأية اعذار للبقاء .

راقبته وعيناه تنتقلان إلى "سالي" وسمعته في غموض وهو يقول :

- والآن يمكنني ان اقترح ان تعودي إلى منزلك وتنتظري هناك إلى ان اسمع انباء عنك .

هزت "سالي" راسها موافقة ثم نظرت بسرعة إلى "هيلاري" التي بدات تتحرك نحو الباب . اخذت "هيلاري" وهي تحس إحساسا قاتما تتبع "سالي" ولم تجرؤ حتى على ان تلقي نظرة على الشخص الواقف خلف المكتب . همهمت :

- وداعا .

كانت في منتصف الطريق إلى الباب عندما ناداها .

استدارت وقد احست فجاة بصدمة حادة في قلبها عندما شاهدته يبتسم لها . كان يقول :

- ربما لو كنت غير شغوفة بان تقضي الليلة في تمريض اختك فهل تقبلين ان تنضمي إلي في العشاء ؟

عندما حملقت "هيلاري" فيه وهي صامتة وغير واثقة إن كانت قد سمعته جيدا اضاف وهو يرفع احد حاجبيه :

- لا توجد كلبشات هذه المرة واتت حرة في الرفض .

لم يكن لديها رغبة في الرفض فوافقت في غباء :

- إن هذا سيكون لطيفا .

- إذن إلى اللقاء فيما بعد وسانتظرك بفارغ الصبر وسارسل سيارة إليك في حوالي الثامنة مساء .

ابتسمت "هيلاري" ثم سارعت لتلحق بـ"سالي" عبر الفضاء نحو السيارة المنتظرة قبل ان تعترف لنفسها بان شيئا غريبا قد حدث لقلبها .

كان قلبها يطير مثل الصقر متجها نحو الشمس .

الفصل السابع

كانتا قد عادتا معا إلى الڤيلا بعد مقابلة "إميليو" وكانت "هيلاري" قد اعترفت لـ"سالي" لماذا لن تستطيع تناول العشاء معها الليلة قائلة ؟

- حسنا - تخيلي ذلك ! لقد كان امرا غير متوقع .

كانت تعارض في براءة ما يحدث داخلها . هزت "سالي" كتفيها ،

- حسنا من الأفضل ان تتناولي الطعام معه الليلة افضل من تناوله معي فبعد كل تلك الدراما احس بالتعب .

ابتسمت "هيلاري" مطمئنة للوجه الغريب التعبير والمتعب فوق الأريكة وسارعت بتغيير الحديث بعيدا عن عشائها المتوقع الليلة مع "إميليو".

ظلت في اللحظة الحالية لا تريد مناقشة الأمر . إنها لم تعرف مشاعرها الخاصة نحو الأمر .

www.rewity.com مروية

زفرت "سالي" والقت إليها ابتسامة شاكرة :

- لقد نجح الأمر بفضلك .

- إنه أنت التي استطعت أن تقنعيه.

وكان هذا حقيقيا ، لقد اظهرت "سالي" هناك في قصر "كازاجراندي" جانبا من نفسها لم تره "هيلاري" من قبل ، قالت لها في فخر واقتناع .

- إنك ستكونين على ما يرام يا "سالي" وكل شيء سيصير إلى الأحسن .

- اتمنى ذلك .

- سترين

ابتسمت "هيلاري" في حنان وبدات تنهض :

- ساتركك الآن فانت تبدين مرهقة . وخذيها مني نصيحة ، اذهبي إلى السرير ساعتين .

كتمت "سالي" تثاؤبها :

- اعتقد انني سافعل . لقد نمت قليلا جدا خلال الأيام الماضية ، هل انت متاكدة من انك ستذهبين إلى خلف الفيلا عند الشاطئ بمفردك ؟ .

- بالتاكيد لا . إنك لا تريدين وجودي هنا في طريقك عند عودة "انطونيو" اليس كذلك ؟ إلى جانب انني لن امكث اكثر من هذا فليس هناك ما يدعو لوجودي .

قطبت "سالي" وقالت :

- ولكنك وعدت أن تمكثي إلى أن يحضر "انطونيو" .

- لقد قلت بالفعل إنني سافعل فلا تقلقي .

ثم انحنت على اختها وقبلت خدها .

- احصلي على بعض الراحة وساتصل بك غدا ومن مظهرك يبدو انك ستنامين حتى الصباح .

قضت "هيلاري" بقية اليوم في السباحة والاستلقاء تحت الشمس ومحاولة إقناع نفسها انه لا يوجد اي سبب لشعورها بالإثارة حول الليل . إن "إميليو" لم يقصد شيئا بدعوته . والدعوة لا تعني شيئا لها

كانت تحس بوخز في صدرها كلما تذكرت الساعة الثامنة وهو امر جنوني لا معنى له . لقد حان الوقت كي تسيطر على نفسها ، جربت طاقمين من الملابس ثم استقرت اخيرا على الطاقم الأبيض المكون من جزء علوي هادئ مع جيبه بلون الفضة تناسب القرط المتدلي من اذنيها وبدت في منتهى الأناقة . رفعت شعرها بعد ان عقصته إلى اعلى ثم فردته إلى اسفل مرة اخرى .

لقد قررت الليلة ان تتركه حرا يسقط فوق كتفيها وكانه ستارة فضية حرة وغير مثبتة .

عطرت نفسها بعطر فاخر ونظرت إلى ساعتها ولم يمض سوى وقت قليل كي تلقي على نفسها نظرة اخيرة امام المراة وعندما سمعت اصوات إطارات السيارة اجتاحها الارتياح المشوب بالإثارة . اخيرا ستكون في طريقها إليه . كان القمر بدرا عاليا في الأفق .

راقبته "هيلاري" وهو ينزل ويختفي ثم يظهر ثانية بطريقة سحرية وهي تاخذ طريقها عبر طريق الصخرة التي تحوطها اشجار النخيل والذي يقود إلى قصر "كازا جراندي" ثم انزلقت السيارة داخل الفناء حيث توجد النافورة وقد تراقصت مياهها مثل الكريستال فوق الأحجار عندما دار السائق حول السيارة كي يفتح لها الباب لمحت صوت مجموعة من الطيور تصدح وهي طائرة في هواء الليل . وتنهدت عندما احاط الهواء الدافئ بكتفيها وهي تخرج من داخل السيارة الباردة .

تنفست بعمق وبدات تسير نحو الباب الضخم المزين والمنقوش نقوشا محفورة بينما كان نبض من التوقع ظاهرا ومحسوسا في صدرها .

- مساء الخير يا "هيلاري" ! "

خرج من بين الأعمدة المظلة شخص طويل و وسيم في حلة ضيقة وشعر مثل منتصف الليل وابتسامة ترحيب على شفتيه .

اخذت "هيلاري" عند رؤيتها إياه . صعد قلبها إلى حلقها واحست به

يرفرف كطائر لاحول له ولا قوة . ابتلعت ريقها بصعوبة وخطت إلى الامام وقالت بالاميركيّة :

- مساء الخير يا "إميليو" .

بدا مترددا بعض الوقت ثم تقدم نحوها وقبلها على خدها :

- إنك تبدين جميلة جدا هذه الليلة .

كانت تحية عادية ما بين المعارف في تلك المنطقة . ولكن لمس شفتيه الخفيف والضغط الهادئ ليده فوق ذراعها أرسل شحنة من الكهرباء خلال شرايينها .

كل ما استطاعت ان تقوله هو "شكرا" . كانت هذه هي المرة الاولى التي حياها فيها "إميليو" بهذه الطريقة اخذها إلى الداخل ثم إلى المصعد إلى نفس الدور العلوي عبر باكية ثم إلى نهاية بهو إلى بابين منقوشين في النهاية ودعاها إلى الدخول وقد وقف جانبا كي يدعها تمر قبله إلى داخل الحجرة :

- من فضلك يا "هيلاري" . اتحبين ان تتناولي شرابا ؟ ماذا تفضلين ؟.

القت نظرة سريعة حول الحجرة قبل ان تجيب وتحس في هذا الجزء من الغابة التي لايوجد بها مهرب . كانت مثل مذبح الصقر الداخلي المثير .

كانت الحجرة في اتساع ملعب "البولو" مجهزة برياش من مقاعد وارائك مطرزة ومغطاة بوسائد موشاة بخيوط حريرية لامعة بلون الجواهر . بينما صفت موائد منخفضة ثقيلة حول سجادة "عجمي" ومضاءة بإضاءة خفية تاخذ بالالباب .

كان رجل يرتدي الزي الأسود والأزرق يحوم في احد الاركان وهو شبه خفي عندما اجابت "هيلاري" .

- اود ان اشرب واحدا من الاشربة الثلاثة المنعشة هذه التي سبق لي ان شربتها .

ترجم "إميليو" طلبها إلى الاميركيّة :

- ديو اماري .

تحرك الرجل في رشاقة واخذ يعمل فاخذ كاسين وزجاجة من خزانة سوداء وصب كمية كبيرة منها . جلست بناء على دعوة "إميليو" على احد تلك المقاعد وهي تنظر في إعجاب حولها مرة اخرى وقالت :

- إنها جميلة

لم تعد قادرة على إخفاء إعجابها وكانت سعيدة لانها قالت له ذلك لانه بدا مسرورا . جلس قبالتها وهو يبتسم عندما ظهر الرجل ذو الزي الاسود والازرق وقد حمل صينية الاشربة قال "إميليو" وهو يقدم لها كاسها :

- إنني سعيد لانها اعجبتك .

- شكرا لك يا "إميليو" .

رفع كاسه نحوها عندما اختفى الخادم في الظلال :

- في صحتك .

اجابت :

- في صحتك

اضاف بلهجة حذرة :

- هذا المساء لي طلب واحد عندك . يمكننا ان نتحدث في اي موضوع ترغبين " اي موضوع تحت الشمس " ولكن لمجرد التغيير يجب ان تتجنبي الحديث عن اختك .

قطبت "هيلاري" ثم وافقت :

- حسنا .

ثم اضافت بسرعة قبل ان يقاطعها :

- ولكن ليس قبل ان اشكرك على وعدك المساعدة هذا الصباح . إنني واختي شاكراتان تماما لك .

هز كتفيه بلا اكتراث وضاقت عيناه :

- كل ما وعدت به هو إعادة " انطونيو" إلى الجزيرة وما يحدث بعد ذلك لايد لي فيه .

- اعرف . اظن ان "سالي" قادرة على علاج البقية .

ارتشف "إميليو" رشفة من شرابه ونظر إليها من فوق حافة الكاس:

- ربما ... وربما تكون قد تعلمت حقا من الدرس وكبرت ونضجت كما ادعت. .ابتسمت "هيلاري" ابتسامة خفيفة بينما ثبت "إميليو" عينيه عليها . كان من جانبه مثل البركان وربما كان قادرا على قراءة افكارها لانه استمر بعد ان نحى كاسه جانبا :

- لاشك ان مسلكي قد ادهشك في البداية لما بدا فيه من بعض القسوة وقد اكون بدوت سريع الحكم ، ولكن على اية حال كل منا يرتكب اخطاء من وقت لآخر ، ولكن على اية حال ذلك لصالح اختك ولصالح عشيقها غير المعروف إنها لم تكن متزوجة مني إن الخطايا من ذلك النوع ليست من بين ما يمكن ان يغفر للزوجة ، اما ابن عمي على اية حال فله طبع ليس صارما مثلي وقد يجد في قلبه ما يسمح له بغفران تلك الزلة . ومع ذلك يجب ان اعترف انني لا يمكن ان اغفرها .

لم تجد صعوبة في تصديق ذلك ورغم ان اراءها حول الإخلاص الزوجي تماثل اراءه إلا انها قالت معارضة:

- إنني اتساءل كيف يمكن ان تتواءم مع زوجة مثل "سالي" ؟ .

عبر وجهه لمحة من السرور وقال :

- اعتقد انني قد اشرت إلى مستويين من السلوك عندي . ولكن دعيني اؤكد لك انني لست معتادا على تطبيق المستويات الأخلاقية على الآخرين بغير المستوى الذي اطبقه على نفسي عندما اعثر اخيرا على المراة المطلوبة فإنني اطمئنها انني لن اهملها .

توقف لحظة ثم ابتسم وهو يضيف شبه جاد :

- ربما يكون هذا سببا آخر لعدم زواجي بعد . إنني لست مستعدا لمثل تلك القيود . إنني ساتناول شرابا آخر - هل تريدين انت كذلك ؟ ".

هزت راسها نفيا وهي ترتشف من كاسها :

- لا وشكرا ، إنني على ما يرام .

راقبته خلال اهداب مرخية وهو يلوح إلى الرجل الواقف في الركن ، الذي حضر دون ان يحدث صوتا عبر السجادة كي يملأ كاسه بالشراب حتى الحافة عندما ابتعد الرجل سالت وهي تتبع "إميليو" في حديثه الشهي :

- خبرني عن قصر " كازا جراندي" . كم عمره ؟ ومنذ متى هو ملك اسرتك ؟ استند بظهره إلى الخلف واسند راسه إلى الوسائد الحمراء وهو ينظر إليها خلال رموشه السوداء الطويلة :

- من قرون . ورغم انه انتقل عبر العديد من الأيدي خلال تاريخه من يونانيين ورومانيين وعرب واتراك الذي احتلونا ، وانا مثل كل اهل "سيسيل" احمل في عروقي دماء كل منهم .

فكرت "هيلاري" كم كان الأمر رومانسيا ، إن تاريخها يبدو فارغا بالنسبة له انتبهت وهي تقول :

- إذن من اين جاءت تلك النزعة المسيطرة ؟

نظر بعيدا وهو غير متيقن من مزحتها ، اي نوع من السيطرة ارادت ان تعرف ؟ افرغ كاسه :

- اوه إنها موجودة من الأصل . ماذا اضطرك إلى عبور اوروبا ؟ رغم كل شيء ... إنني اظل معجبا بك لذلك ؟ .

فجاة خفضت "هيلاري" اهدابها . كان صوته مشوبا بالسرور .

- إنك تبدين دهشة .

هزت "هيلاري" راسها نفيا . كانت المفاجاة فقط عندما صارعت العواطف التي شعرت بها واحمرار خديها خجلا وهي تقاوم نظراته الداكنة . احست بالسرور والبهجة والمجاملة والتشويش واصبحت متوترة اكثر من نفسها كي تشعر بمثل تلك المشاعر .

كيف تسمح لنفسها ان تجعل مثل هذه المجاملة تدير راسها ؟ اجابت وهي ساهمة وفي هدوء :

- اعتقد ان ما فعلته ليس امرا فوق العادة . إن "سالي" هي اختي على اية حال .

- ولكن ليس كل اخت تفعل ما فعلت ... ولكننا ندخل في مياه خطيرة وهو الموضوع الذي اتفقنا على الا نطرقه .

ظهر في تلك اللحظة رجل يرتدي زي السقاه خلال الباب المزدوج . اعطى إشارة مقتضبة لـ"إميليو" الذي احنى راسه ثم استدار نحو "هيلاري" :

- إن العشاء سيكون معدا خلال لحظات مالم ترغبي في تناول كاس اخرى من الشراب فإننا نستطيع ان نذهب لنتناوله.

افرغت كاسها وحنت حذوه ونهضت على قدميها .

- لقد طلبت إعداد العشاء في الشرفة واتعشم ان يناسبك ذلك ؟ .

- هذا لطيف .

سوت قميصها الضيق وهي تتبع "إميليو" عبر الغرفة إلى الأبواب فرنسية الطراز على الجانب الآخر ثم وقفت مكانها وشهقت إعجابا امام المنظر الذي راته . إن كلمة "لطيف" لايمكن ان تصفه وصفا دقيقا .

كانت الشرفة في مثل حجم الحجرة التي تركاها وراءهما وهي دائرية الشكل وقد احاط بها سور حديدي بارتفاع وسط الإنسان وتطل على صخرة رائعة المنظر فوق الخليج .

كانت اضواء الميناء تتلالا أسفل السماء التي تناثرت فيها النجوم . وخلف ذلك على مدى الأفق كان القمر مضيئا .

عبرت الشرفة نحو السور وانحنت عليه وتنفست قائلة :

- إنها مثل جزيرة الخيال .

كان "إميليو" قد جاء ووقف بجوارها :

- يمكنك ان ترى مدينة الجزائر من هنا في يوم خريف صاف . إننا اقرب إلى ساحل افريقيا منا إلى ارض اميركا الرئيسية

سرى فيها تيار من الإثارة عندما فكرت في افريقيا .

لقد خلق اسم افريقيا ، القارة السوداء في خيالها صورا من المغامرات والغموض والمؤامرات . استدارت نحو الرجل الذي ارتدى حلة سوداء واحست بإحساس قوي عندما رفعت عينيها إلى وجهه

الذي بدا وكانه قوة غريبة تسحرها واصبحت شبه راغبة وشبه ضعيفة ولم يكن امامها سوى الاستسلام . قالت له وهي شبه مسحورة من التعبيرات التي تحدث في عينيه !

- ليست لدي اية فكرة ان جزيرتك مكان رائع وساحر .

عندما مد يده ليلمس ذراعها احست برعدة تسري في جلدها وعندما امسكت يده بلحمها العاري أحست بتوتر شديد وفجائي في صدرها ولكنه ابتسم - هيا يا "هيلاري" وساخبرك بالمزيد عن الجزيرة في اثناء الطعام .

قادها عبر الشرفة نحو المائدة المنصوبة لشخصين بينما كان احد السقاة واقفا امامهما وهو يفتح زجاجة شراب تحت الأنوار اللطيفة الهادئة الآتية من الغابة على الجدران المغطاة بالقماش الدمشقي و الثريا امامهما بينما لمعت الفضية لمعانا باهرا . سحب مقعدا لها وجلست عليه وهي تشعر فجاة وقد اجتاحها كل شيء ، الجمال والعظمة والفخامة والكمال في كل ما يحيط بها . كما اعترفت لنفسها بان اكثر من ذلك كان وجوده .

عندما جلس امامها نظرت إليه "هيلاري" عبر المائدة واحست مرة اخرى بالقوة السحرية والسحر الكامن الذي اسبغه عليها . قالت في نفسها إنه لاضرر فيما يحدث لها . لم يكن هناك سبب يمنعها الليلة بكل بساطة ان تسمح لنفسها بالتمتع بصحبة رجل ذكي ووسيم ومغر . على اية حال لقد مر وقت طويل منذ ان حدث لها ذلك . كما ان التاثير غير المحدد منه عليها يرجع إلى البحر والقمر والليل .

إن شدة الأعصاب يمكن ان تذهب مع برودة الليل وهدوئه . ولا خطر هناك .. على الإطلاق .

قدم لهما ثمرة شمام إيراني كبداية كانت لذيذة وحلوة كالعسل . أكلت "هيلاري" بشهية مفتوحة ، وارتشفت الشراب في تلذذ ، سالته وهي تبتسم :

- هذا شراب محلي ؟

ابتسم "إميليو" لها :

- بالتاكيد . إن الاكتفاء الذاتي هو هدفنا كما تعلمين .إنه شراب طازج من بشائر العنب . ولكن بمزيد من العناية سينضج جيدا .

توقف كي يحتسي الشراب وسمح لعينيه ان تسقطا ببطء فوق فتحة القميص الواسعة والكتفين العاريتين اللتين اسمر لونهما من الشمس

ابتلعت "هيلاري" ريقها وهي تحس بغرابة وجلدها يحترق تحت نظراته العاطفية من عينيه الواضحتين الكاشفتين

- اخشى انني لا اعرف شيئا عن الشراب .

- إن الشراب مثل النساء . كل واحدة لها صفاتها الخاصة وطعمها الخاص وطريقتها الخاصة . ورغم ان الكثيرات غير ملحوظات وغير مرضيات بالنسبة للخبير فإن هناك دائما القليل جدا منهن اللاتي يتمتعن بقيمة خاصة .

إن انغماسه في حب النساء امر استطاعت ان تحس به بالفعل وقد اعترف بذلك بصورة او باخرى في بادئ الامر . وكونه خبيرا في مثل تلك الأمور هو ايضا امر لايحتاج إلى الشك . عندما ابعدت عينيها عن وجهه سقطتا على اصابعه الطويلة ويديه جميلتي الشكل ثم وجدت نفسها تفكر وتتساءل في جراة ماذا يمكن ان تحس به لو لمستها تلك اليدان لمسة حقيقية ؟ .

استردت نفسها من الفكرة ثم رفعت عينيها عندما قال :

- إن اهم شيء بالنسبة للشراب حديث الإنتاج هو تعلم الحكم متى يمكن استخدامه . إذ يجب ان يظل محفوظا في قنانيه إلى الوقت المناسب لانه إذا استخدم قبل ان ينضج فإنه يفسد .

مد يده للزجاجة مما جعلها تحس بخوف شديد وكانه سيمد يده إليها ولكنها احست بنوع من الارتياح عندما رفع الزجاجة من فوق مفرش المائدة الأبيض ثم امالها فوق كاسها وهو يبتسم :

- إن التوقيت يا "هيلاري" هو عامل مهم - في الشراب وصناعته مثله في ذلك مثل كل شيء آخر .

ظهر الساقي في الوقت المناسب مرة أخرى . عندما رفع الصحاف

احضر طبقا فوقه سمكة تتصاعد منها الابخرة اخذت "هيلاري" تفحص في سرية ملامح الرجل الجالس امامها لقد احست بانها وصلت إلى حافة شيء ما ولم تكن واثقة كم هي مسرورة في تلك اللحظة إذ استطاعت ان تبتعد عن حافة السقوط في الوقت المناسب .

استمرت الوجبة وبدات الكهرباء السارية بينهما تخف قليلا وإن لم تختف تماما ، وكانت "هيلاري" تحس بها وهما يثرثران في سهولة ويسر ملحوظ حول امور شتى . تناولا لحم بقر فاخرا وعش غراب ضخم واخبرها "إميليو" عن طفولته فوق الجزيرة :

ان ينمو الإنسان فوق مكان كهذا هو امر وخاص وبخاصة مع وجود العديد من الإخوة والأخوات .

قالت له عن طفولتها هي :

- إن بار "بوترز وشمال لندن ليسا مثل "ميلانو" ولكننا تمتعنا بطفولة جميلة على الاقل إلى ان مات والدنا .

استبعدت الذكرى المؤلمة في شبه ابتسامة :

- لقد حدث ذلك عندما كبرت وقد انطوت امي على نفسها فترة وتركت كل شيء بين يدي .

- لابد ان ذلك كان قاسيا وصعبا .

- لم يكن الامر سيئا إلى هذه الدرجة . لقد تمتعت بالعناية بـ"سالي" بطريقة ما . إلى جانب انني وجدت من الصعوبة ان اهرب كما انني لم اكن من الحالمات كانت تعترف باسرار عادة ما احتفظت بها لنفسها :

- لقد تعودت على اختراع عالمي الخاص القائم على القصص التي قراتها والافلام التي شاهدتها . لقد كنت واسعة الخيال .

توقفت محرجة من التعبيرات على وجه "إميليو" قالت :

- اعتقد ان كل الشباب يفعلون ذلك ولابد انك فعلت ذلك بنفسك .

ابتسم لها في تعاطف ثم قال :

- في شبابي كانت هذه الجزيرة مسكونة بعدة شرائح من المجتمع

وبعض المردة والعفاريت .

بعد فترة طويلة وضعت "هيلاري" ملعقتها بعد ان ابتلعت كمية من الماء المثلج واسقطت فوطتها فوق المائدة . ونهض "إميليو" فجاة وهو يبتسم ويقول :

- دعيني اريك شيئا ما .

نظرت إليه في فضول وارادت ان تعرف ماذا يريد ثم نهضت هي الأخرى وهي مستغربة عندما دار حول المائدة كي يقف بجوارها ويسحب مقعدها بعيدا مد يده إليها وقال :

- تعالي ! إن رومانسية عريقة مثلك لابد انها ستتمتع بذلك !

قادها إلى اقصى جانب للشرفة حيث لا تتوشك الأنوار الصادرة عن الجدران القديمة ان تصل إلى هناك ولكنها استطاعت ان ترى اطراف الصخور المتناثرة .

- إن هذه البقعة التي نقف عليها الآن يقال إنها كانت مسرحا لاحداث اكثر القصص التي سمعتها رومانسية عن "قصر كازاجراندي" . إن التاريخ مبهم وإن كان من المعتقد انها حدثت في منتصف القرن الخامس عشر حيث وقعت ابنة الأمير الذي كان يمتلك القصر في حب احد فتيان الجزيرة وهو صبي تدريب الصقور كان يعمل لدى الأمير .

أسند ظهره إلى السور الحديدي وبدت ملامحه تحت الأنوار الخافتة. راقبته "هيلاري" ثم قاطعته :

- اخشى أن يكون الأمير قد عارض ذلك الحب .

ضحك وقال :

- اخشى أن يكون قد فعل ما هو اكثر من ا لمعارضة لقد اخذ الشاب المذكور واسمه "ارفالدو" والقى به في الجب بينما حبس الأميرة "إزميلدا" في حجرتها .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟ .

لمحت لمعانا في عينيه وهو يتابع تعبير وجهها :

- ما حدث بعد ذلك هو ان المسكينة "إزميلدا" قد سجنت ايضا هي الأخرى ولكن "ارنالدو" كان قد صمم على ان تصبح عروسه . استخدم توكة حزامه واستطاع ان يفتح قفل باب سجنه ثم بمساعدة بعض اصدقائه استطاع ان يتخفى في صورة امراة غسالة وان يدخل حجرة حبيبته . اخفى "إزميلدا" في سلة الغسيل وهربا معا عبر الشرفة التي نقف عليها الآن .

كانت "هيلاري" في لهفة إلى ان تنتهي القصة نهاية سعيدة :

- وهربا ؟

ولكن "إميليو" هز راسه ببطء :

- لقد كان يوشك ان ينزل السلة فوق الصخرة من فوق سور الشرفة ومنها إلى الشاطئ اسفلها عندما تنبه احد حراس الأمير واندفع نحو الشرفة بسرعة. احست بالفزع عندما فكرت فيما حدث :

- وهو لم يقتلهما .. اليس كذلك ؟

ولكن "إميليو" هز راسه نفيا مرة اخرى وابتسم :

- في آخر لحظة ظهر صقر ضخم في السماء طار فوق الحارس والقى بالسيف من يده نحو الصخور اسفل الشرفة ومنح "ازميلدا" "وارنالدو" فرصتهما للهرب . بعد ذلك بمدة تزوج الاثنان وانجبا البنين والبنات وسامحهما الأمير اخيرا وسمح لهما بالعودة إلى الجزيرة. وقد عين "ارنالدو" اول مركيز لجزيرة "واكورماك" وعندما مات الأمير الهرم لم يترك وريثا سوى ابنته فورث قصر "كازا جراندي" وعاش فيه ورثتهما منذ ذلك الوقت .

- يالها من قصة محببة !

استدار كي يحملق إلى السور الحديدي وقال :

- إن ذلك الكهف الصغير هناك حيث يقف قارب في الانتظار كي ياخذ العاشقين حيث الأمان يوجد اسفلنا تماما . وخلف الكهف ، يوجد بروز للصخرة التي تبدو تماما مثل راس الصقر ويقال إنها تكريم للصقر الذي انقذ حياة مروض الصقور .

انحنت "هيلاري" فوق السور وقد فتحت عينيها على اتساعهما وهي تفحص جانب الصحرة وسالت :

- اين ؟ اين صخرة الصقر ؟

- اخشى الا تستطيعي رؤيتها من هنا . فقط من الكهف .

استدارت نحوه .

- إذن دعنا نذهب إلى هناك ابتسم :

- كيف ؟ في سلة الغسيل ؟

ضبطت في عينيه نظرة "معاكسة" فابتسمت وهي تتوسل :

- لابد أن هناك طريقة ما .

لقد ارادت في إلحاح ان تذهب . راقبها بعينيه السوداوين لحظة ثم قال لها:

في الحقيقة هناك طريقة ... هنا ! .

ادارها نحو باب شبه خفي في الحائط السميك ثم فتح الباب واضاء النور كي يكشف عن سلم حلزوني يقود إلى اسفل :

- هذا يقود مباشرة إلى الكهف . إذا اردت رؤية راس الصقر فاتبعيني .

اخذ صدى صوت اقدامهما يتردد وهما يسيران خلف بعضهما واتخذا طريقهما إلى اسفل وفي النهاية عبرا بابا يقود إلى الرمال التي يضيئها القمر مد "إميليو" يده كي يساعدها وهي تخطو فوق العتبة واحست بالرمال الدافئة اسفل قدميها حيث خلعت نعليها . نظرت حولها . كان الكهف ضيقا اقل بقليل من عشرة امتار مربعة اتساعا ويحاط من ثلاث جهات بالصخرة بينما الجهة الرابعة كانت ناعمة . ابتسمت :

- إنه يبدو كمكان سري .

- إنه كذلك . لقد تعودت انا وإخوتي ان ناتي للسباحة هنا عندما كنا صغارا. لا يسمح فقط بذلك إلا للاقارب المباشرين .

- إذن فانا حالة مميزة .

- بالتاكيد نعم .

كانا قد خطوا نحو بروز وكان يبتسم وهو يقودها كي تواجه الجهة المقابلة للكهف وقال وهو يشير نحو الصخور اعلاهما :

- هناك ! ها هو ذا الصقر يا "هيلاري" !

لم تستغرق لحظة كي يقع عليه بصرها : لقد كان واضحا وضوح النهار لقد كان نحتا في شكل راس وكتفي صقر ضخم فخم مثل ذلك الذي راته في المزرعة وحينئذ صاحت :

- يبدو وكانما نحته نحات في الصخر .

- ولكنه ليس كذلك . لقد تكون من عوامل التعرية الطبيعية على مر السنين . والبقعة الوحيدة التي تستطيعين رؤيته منها هى البقعة التي نقف عليها الآن .

ويقال إن هذا المكان هو الذي اخفى فيه الزورق الذي كان ينتظر كي يهرب به العاشقان .

استدارت نحوه !

- يالها من قصة جميلة ! اتظن انها يمكن ان تكون حقيقية ؟ .

- اعتقد ان بها بعض الحقيقة وهي اجمل من ان تكون كذبة

ابتسم وهو يراقبها ثم تحرك نحوها :

- إنك تعنين ذلك . اليس كذلك ؟

هزت راسها موافقة :

- نعم بالتاكيد !

ثم احست بغرابة نظرته فاوشكت ان تتجمد في مكانها عندما مد يده فجاة ليلمس خدها باطراف اصابعه وهمس :

- كم هي قصة رائعة .

بلعت هيلاري ريقها ورفعت نظرها وهي تسمع نغمة غريبة في صوته مابين التردد والحنان سالت بغباء :

- وماذا يعني ذلك ؟ .

لم يجب لحظات بدت بلا نهاية وإنما استمر في مراقبتها بعينيه

الساحرتين ثم هبطت اليد فوق خدها لتستقر على رقبتها برقة وهو يربت شعرها بعيدا عن وجهها بينما شعرت بالكهرباء تسري في ظهرها . امسكت انفاسها . واحست بقلبها يندفع في صدرها ، وهي تحس بالسكون يطن في اذنيها وقد بدا وكانه واقف فوقها ثم انحنى وقال :

- إنها تعني ذلك .

كانت تحس بضربات قلبها المثار فقد بذل جهدا جبارا كي يوقف نفسه عن التمادي ثم بدا يرفع نفسه ببطء بعيدا عنها وهو ينظر إليها .

راقبته "هيلاري" في خيبة امل عندما نهض على قدميه مديده . إليها يدعوها إلى الوقوف هي الأخرى قائلا :

- تعالي يا "هيلاري" اعتقد ان البحر هو امن مكان الآن .

تبعته إلى حافة المياه وراقبته وهو يجري الامتار المتبقية ثم يغوص في الامواج الخفيفة . عندما اختفت راسه السوداء عن انظارها كتمت انفاسها لحظات وتريثت كي تفحص نبضات قلبها المضطرب لقد حدث لها امر ما ، عميق ولا رجعة فيه رغم ان ذلك ليس مالم تكن تظن انه سيحدث لها ولا ماكانت تتوقعه .

ظهر "إميليو" مرة اخرى وهو ينثر المياه وقد ابتعد عن متناول يدها ثم بدا يعوم بضربات بطيئة وقوية .

نهضت وقد غرقت في بحر من اللذة والبهجة واخذت تراقبه ثم رفعت عينيها إلى القمر الفضي الكبير اوه يا إلهي ! إنني احب ذلك الرجل .

الفصل الثامن

كانت "هيلاري" لاتزال واقفة بجوار حافة الماء عندما استدار "إميليو" وبدا يسبح عائدا إلى الشاطئ . رفع جسمه من الماء ، وقد التمع جسده القوي بارز العضلات وصوت قطرات المياه فوقه تحت ضوء القمر مما جعل قلبها يتقلص داخل صدرها . لقد كان رائعا للغاية ليس من ناحية الجسد فحسب وإنما في كل شيء . إنه جدير بحبها بطريقة مؤلمة .

عندما اقترب ناحيتها لم يكن مدركا تماما ما سببه لها من اضطراب هز نفسه ومرر اصابعه بين شعره اللامع الأسود وقال لها بابتسامة ساحرة :

- اراهن أن الغوص في البحر هو افضل شيء كحمام بارد . من الأفضل ان نعود الآن فقد حان وقت إعادتك إلى المنزل .

هزت راسها وهي تخفي خيبة أملها . هل انفصل بسرعة هكذا عنهـا ؟ تتبعت جسده الفارع في صمت وهو يعود بها فوق الرمال . كانت ملابسها مبعثرة كاوراق الشجر بعد العاصفة ، شاهدا على ما حدث منذ قليل من جنون بينهما . راقبته "هيلاري" بركن عينها وبسرعة بطيئة وهو يرتدي بنطلونه وقميصه وسادها إحساس حزين وغريب بان شيئا ما قد انتزع منها .

كانت تزرر اخر ازرار ثوبها عندما وجدته فجاة واقفا امامها وحين رفعت عينيها توقف قلبها عن النبض وابتسم وهو يهمس وينظر بتمعن في عينيها :

- "هيلاري" كنزي .

ثم سحبها برقة شديدة بين ذراعيه في دفء وامان إلى صدره قاومت رغبة ملحة في ان تلتصق به وان تصب فيه كل عواطفها الجياشة التي كانت تدق وتطغى على قلبها . إنه لن يفهم وهو حتى لن يرغب في ان يعرف .

أطلق سراحها وهو يزفر ثم انحنى كي يطبع قبلة مختصرة على جبينها وامسك بيدها وقال :

- تعالي يا "هيلاري" . هيا بنا نذهب .

لم يقابلا احدا في اثناء رحلتهما عبر غرفة المكتب ثم في المصعد لم يلتقيا باي ممن يرتدون الزي الرسمي الاسود والازرق . قادها في الخارج إلى ركن بعيد من الفناء حيث كانت السيارة "الفيراري" الحمراء في الانتظار وفتح لها الباب حيث صعدت إلى داخلها .

بعد ذلك اتجها نحو طريق الصخرة بعيدا عن قصر "كازاجراندي" إلى الفيلا كانا مثل شبحين يضيئهما القمر في وسط المناظر الخلوية وكلاهما يعلم انه لا يمكن ان يحدث لهما ما حدث مرة اخرى .

لم تصلها اية كلمة من "إميليو" خلال اليومين التاليين ورغم أن "هيلاري" كانت تسري عن نفسها بانه لابد ان يتصل بها حتى على الاقل من قبيل الإخبار عن "جينا" و"انطونيو" إلا انها كانت تعلم في

قرارة نفسها أن ذلك الصمت ينطوي على سوء . احست ان هذه هي طريقته كي يخبرها ان تلك اللحظات على الشاطئ ليست سوى عابرة ووقتية ولا معنى لها وهو إحساس جسدي يجب نسيانه .

حسنا . لو كان بيدها هي ان تنسى ! ولكنها كانت تعرف دون شك أن ذلك مستحيل بالنسبة لها لم يكن ما جرى بينهما مجرد شعور جسدي . ورغم انه كان إيقاظا لحواسها إلا انها اعترفت بانه إيقاظ محطم للقلب .

لقد فاجاها الأمر ولكنها راته واضحا وكانه كتب في السماء . إنها وقعت يائسة في حب "إميليو" . إن هذا الاكتشاف غير المريح لم يكن شيئا تستطيع الآن ان تشارك "سالي" سره . كان السحر والارتباك والخوف في روحها عواطف يجب ان تحتفظ بها لنفسها .

عادت إلى دورها كمدعمة لـ"سالي" كغطاء لمشاكلها هي وقلقها واخذت تترقب الانباء . طمانتها قائلة :

- إنه سيتصل بك قريبا . الم يقل لك إنه سيفعل ؟

كانت تعلم انه إذا كان هناك امر واحد مؤكد في هذا العالم فهو ان "إميليو واكورماك" رجل عند كلمته . اكملت حديثها :

- إنه وعد ان يعيد "انطونيو" . وانا اعلم بالضبط ما هو فاعل .

احتضنتها "سالي" معتذرة :

- اعلم .. اعلم . فانت آخر شخص اشكو له . لقد فعلت كثيرا لي بالفعل ولكن كل ما هناك انني لا استطيع ان اتغلب على قلقي . لقد اربكت الأمور إرباكا ضخما . وكل ما اريده الآن هو ان تتاح لي فرصة الخروج من المازق .

- قالت "هيلاري" واعدة "

- انا واثقة انك ستفعلين . ولكن يجب ان تكوني صابرة بعض الشيء

رغم ان "سالي" كانت لاتزال قلقة ومضطربة بطريقة مفهومة فإن "هيلاري" احست تغييرا محددا في علاقتهما .

لم تعد "هيلاري" تلك الفتاة التي تعتمد عليها وتجري إلى احضانها كي تخرجها من مازقها . كان هناك مظهر جديد في تصرفاتها يدل على نضج جديد .

لم تستطع "هيلاري" أن تكف عن التفكير في مدى سخرية الموقف عندما قررت "سالي" أن تكبر وتنضج احست هي انها في حاجة إلى الدعم والمساعدة والأمان .

اخيرا اتصل "إميليو" هاتفيا في اليوم الثالث مبكرا وكانت "هيلاري" قد خرجت لتوها من الحمام عندما نادت عليها "روبرتا" صائحة :

- إنه الهاتف يا سيدتي إنه السيّد "إميليو" !

لفت "هيلاري" نفسها في المنشفة وطارت إلى حجرة النوم وامسكت بالسماعة وقد بدا قلبها ينبض كالطبلة :

- هاللو ؟

كان مقتضبا وبعيدا واكتشفت ذلك وهي ترتعش :

- اريد منك ان تتصلي باختك وتقولي لها ان تكون مستعدة خلال ساعتين وسامر عليكما بعد نصف الساعة.

وهكذا كان كل ما قاله دون شرح او توسع او اطمئنان وإنما مجرد مجموعة من التعليمات الفجائية . جففت "هيلاري" نفسها بسرعة . تساءلت ماذا يجري ؟ ولكن قلبها كان يرقص رغما عنها لمجرد فكرة انها ستراه مرة أخرى .

ارتدت جيبة متواضعة عليها سترة بيضاء قطنية وكانت منتظرة خارج الشرفة عندما ظهرت السيارة "الفيراري" الحمراء عند المدخل .

خرج "إميليو" من السيارة ، كان جسدا طويلا اسمر في جينز ضيق وقميص ابيض فضفاض وقد رفع كميه سرى داخلها تيار جارف من البهجة عند رؤيته . لقد ظهرت الشمس أخيرا بعد يومين من الظلام . ابتسمت داخليا عندما فتح الباب المجاور للسائق ووقف جانبا ولم يقبلها في تحية هذه المرة ثم امرها بقوة :

- ادخلي !

دخلت السيارة ثم عندما صعد هو السيارة استدارت نحوه بعصبية وسالت :

- إلى اين نحن ذاهبان ؟ ماذا حدث ؟ هل تحدثت مع "انطونيو" ؟ الم يعد بعد؟

ابتسم امام اسئلتها التي اندفعت كالطلقات

- سؤال بسؤال . لا تقلقي سينكشف كل شيء فورا وفي نفس الوقت عندي ما اود ان اريك إياه .

- ماذا ؟

ولكنه لم يظهر شيئا .عندما اتجهت السيارة الضخمة نحو الطريق استدار كي يغمز لها :

- مفاجاة . الصبر يا "هيلاري" فقط انتظري وسترين ! .

كانت قادرة على تصور شيء واحد فقط عندما تقدما نحو الطريق الجبلي الضيق تاركين خلفهما البحر الممتد كبحيرة وردية واسعة . ومالم تكن مخطئة فإنهما كان يتجهان نحو المزرعة . ولكن ماذا يمكن أن تكون المفاجاة التي وعدها بها ؟

عندما استدارا خلال البوابات واتاها الإلهام .

-اعتقد انني اعرف ماذا ستريني إياه .

- هل تعرفين حقا ؟ .

ابتسم ابتسامة المتامرين وهما يهبطان من السيارة وبدا يقودها عبر فناء المزرعة نحو حظائر الصقور

- هيا تعالي ! ودعينا نر إن كنت على حق .

كانت على حق . احست بان قلبها يقفز من السرور عندما قادها "إميليو" نحوالنافذة الصغيرة ودعاها لترى ما بداخلها . كانت في المرة الماضية هناك انثى صقر تحتضن بيضها وهذه المرة كان المنظر قد تغير تماما شهقت "هيلاري" عند رؤيتها اربعة افراخ يغطيها الزغب وقد فتحت مناقيرها وهي توجهها نحو امها الفخور :

- اوه ... إنها رائعة .

كانت مذهولة وهي ترى الأم تقطع قطعا من اللحم النيئ بمخالبها ثم برقة شديدة تصنع قطعة صغيرة في منقار كل فرخ . استدارت "هيلاري" مذهولة نحو "إميليو" وسالت :

- متى فقست ؟

ابتسم

- لقد خرجت أمس لقد اتصل بي " اوسكار " كي يخبرني بذلك فور عودتي في الليلة الماضية .

إذن لقد كان خارج الجزيرة ولكنها قاومت الرغبة في ان تساله . لقد اخبرها انها ستعرف فورا ماذا حدث ؟ إن محاولة ان تنتزع ذلك منه ستكون مضيعة للوقت وبدلا من ذلك استدارت وقد ازداد إعجابها حين شاهدت عائلة الصقر الصغيرة . لقد كانت حقا اجمل مفاجاة . كان "إميليو" يراقبها قال لها - لقد ظننت انك قد ترغبين في رؤيتها قبل ...

ثم توقف عند منتصف الجملة ونظر بعيدا ثم استرسل قائلا :

- اعلم انك كنت تريدين رؤيتها

ابتسمت "هيلاري" ابتسامة متهالكة وقالت :

- انت على حق .

تساءلت عما كان يوشك ان يقوله . ربما يريد ان يقول قبل ان ترحلي ! " احست بطعنة حادة . لقد اوشكت ان تنسى على مدى الساعات الثمانية والاربعين الماضية انها ستترك الجزيرة في القريب . لم يكن يشغل بالها سوى فكرة ان تراه مرة اخرى .

مال إلى الأمام كي ينظر إلى الأفراخ :

- سريعا ما ستصبح هذه العظام النحيفة كرات منتفخة من الآن فصاعدا فستظل تاكل وتنمو إلى ان ينمو لها ريش البلوغ .

كانت "هيلاري" تراقبه وقد نما داخلها شعور بعدم الراحة كانت قد ادركت فجاة التباعد والبرود في تصرفه . لم تقل شيئا عندما استمر في الحديث دون ان ينظر إليها :

- خلال ستة اسابيع او ما شابه ذلك ستبدا في الطيران ولن يمر وقت طويل بعد ذلك حتى تستطيع ان تطير بمفردها .

- هكذا بسرعة ؟ .

كانت افكارها سعيدة ولكن فكرة حزينة ايضا طرات على بالها عندما نظرت إلى ام الأفراخ وسالت :

- الن تشعر بالحزن عندما تطير بعيدا عنها ؟

هز "إميليو" كتفه بلا اكتراث وقال:

- من يدري ؟ ولكن هكذا الأمور تحدث . عندما يحين الوقت فإنها ستطير بعيدا . إن الصقور مثلي تكره الوداع .

استدار الآن كي ينظر إليها بعينين متباعدتين :

- في الطبيعة كما هو الحال في الحياة لابد من كسر القيود هكذا طبيعة الأمورولا معنى لمحاربتها ..

- احست "هيلاري" شعورا حارا امام قسوة الرسالة التي تحويها كلماته . وعندما نظرت في عينيه الباردتين غير المباليتين كان قد ابتعد مليون سنة عن الرجل الذي قص بحرارة اسطورة العاشقين واخذها كي ترى تمثال الصقر ، بل لقد كان من الصعب التعرف على ذلك الرجل الذي احضرها بمحض إرادته إلى هذا المكان .

خفضت عينيها وسالته :

- هل تعود هذه الصقور الصغيرة ثانية ؟

هز "إميليو" راسه :

- لا إطلاقا وفقا لسجلاتنا ماإن ترحل فإن رحيلها يكون دائما .. لقد حان الوقت لعودتنا كي ناخذ اختك .

تبعته "هيلاري" عائدة إلى السيارة بإحساس قاتم وفارغ ، إحساس من اعيد بحدة إلى الأرض . لقد وضح جليا ان طيرانها الخيالي قد انتهى بهبوط فجائي. لقد استطاع دون حتى ان يطرق الموضع ان يوضح في تعريفات غير مؤكدة ان تلك الليلة في الكهف هي كل ما سيحدث ، ونسى سباحتهما في احلام العاطفة وعليهما الآن ان يذهبا

في طريقين مختلفين .

عندما عادا إلى السيارة ادهشها انه توقف بعد ان ادار محرك السيارة واخرج من درج التابلوه ربطة صغيرة وانيقة ملفوفة في ورق قماش وقدمها إليها .

وقال : هذا لك . ثم بدا قيادة السيارة .

فكت "هيلاري" الربطة ببطء وهي تحس بان اصابعها مخدرة ثم ابتسمت عندما رات محتوياتها ، كانت تحتوي على القمع الأرجواني والريش الأزرق الذي كان "خان" اب الافراح يرتديه في اخر مرة كانا هناك .

ادار محرك السيارة بمهارة واخذ طريقه نحو الطريق العام :

- لقد رايت انك كنت معجبة به وفكرت انك قد تحتفظين به كذكرى للصقور .

إذن لقد كانت هدية وداع توترت اصابعها وهي تقول :

- شكرا لك .

قالتها بجفاء وهي لا تجرؤ على النظر إلى وجهه . اه لو كان فقط يعلم انها ليست في حاجة إلى من يذكرها بالصقور .

ولا باي شيء مما حدث خلال الأيام القليلة التي مضت .

احست بطعنة في قلبها . إن تجاربها على جزيرة "ميلانو" قد حفرت تماما داخل قلبها . بدا ان الوقت مر كالبرق قبل ان يتركا طريق الجبل واخذا يتجهان عائدين نحو الفيلا . شرح "إميليو" ..

- اولا سناخذ سيارتك ثم سيقود كل منا سيارته إلى حيث تقيم اختك ومن هناك ستتبعاني .

ظلت "هيلاري" تجهل وجهتهما إلى ان التقطت "سالي"

كانت "سالي" جالسة بجوارها ومشدودة وهي مثبتة نظرها على السيارة الحمراء امامها . فجاة اعتدلت "سالي" وانحنت للأمام وهي تصيح :

- إنه يقودنا إلى قصر "روزاريا" ، قصر امه .

استدارت نحو "هيلاري" وهي تبتسم في إثارة :

- إنني اراهنك باي شيء ان "جينا" و"انطونيو" هناك .

عندما اقتربتا لمحت "هيلاري" فيلا ذات جدارن بيضاء قائمة بين الأشجار . تبعا "إميليو" عبر البوابات والمدخل امام المنزل واخذت تناور بالسيارة الصغيرة البيضاء إلى ان استقرت بجوار "الفيراري" .

ما إن جذبت الفرامل حتى اخذت "سالي" تصارع كي تفتح الباب ثم اخذت تعدو وقد حبست انفاسها وراء "إميليو" نحو المنزل . راقبتهما "هيلاري" وهما يذهبان بإحساس من الحزن . احست فجاة بانها زائدة عن الحاجة وانهما لم يعودا في حاجة إليها بعد الآن

كان باب الفيلا الامامي مفتوحا وعندما اقتربت "هيلاري" كانت "سالي" قد تبعت "إميليو" بالفعل داخل البهو .

عندما اسرعت خلفهما استطاعت ان تسمع اصواتا بالداخل . سارعت نحو الأصوات واخذت طريقها نحو مابدا انه حجرة مكتب ثمينة الأثاث ثم عبرت العتبة في اللحظة التي رات فيها السحر الذي من اجله حفرت إلى الجزيرة . سرى داخلها مجموعة من العواطف وهي ترى وجه "سالي" يضيء بارتياح لا حدود له وسعادة بالغة عند رؤيتها طفلتها الجميلة سوداء الشعر وهي تجري وقد فردت ذراعيها نحو "سالي" :

- ماما ... ماما ..

بعد لحظة كانت الطفلة الصغيرة بين ذراعي امها .

وقد احتضنتها بذراعيها الرقيقتين وقد اشرق وجهها بالسعادة .

كانت "سالي" تقبلها وهي تعبث بشعرها وتقول :

- اوه يا "جينا" يا كنزي ! لقد اشتقت إليك كثيرا .

اخذت الطفلة تقهقه في سعادة وقد بدا انها تحس بكل العواطف التي تحوم حول الغرفة ولكن "هيلاري" اختلست نظرة نحو المراة ذات الشعر الأشهب التي كانت ترتدي ثوبا ازرق حريريا ونقف مع "إميليو" في جانب واستطاعت ان تفهم انها المشاهد الوحيد في الغرفة الذي

امتلأت عيناه بالدموع .

حررت "جينا" نفسها وهي تقهقه من احضان امها ثم سارعت كي تحضر عروسة كاوتشوك كانت ملقاة فوق اريكة قريبة منها واعلنت وهي تري العروسة بفخر لأمها وقدا عتبرت ان من الامور المهمة ان تقدمها إلى امها

راقبت "هيلاري" المشهد السعيد وهي تبتسم بهدوء في نفسها . لقد كان هناك امر واحد واضح انه خلال هذه العواطف كانت الطفلة سعيدة وفي صحة جيدة وانها لم تحس باي ضيق بسبب فراقها المؤقت عن امها تماما كما طمانها "إميليو" من قبل . نظرت إليه نظرة امتنان جانبية ثم استدارت نحو الوجه غير المطمئن الذي كان يرتدي حلة رمادية فاتحة الذي ظهر فجاة في المدخل والذي تنحنح خلفه وقال:

- "سالي" ؟

ساد صمت مشوب بالكهرباء عندما استدارت "سالي" نحوه . كانت عيناها مليئتين بالدموع وعضت شفتها وهي تنطق اسمه متقطعة الأنفاس بعد لحظة كسر التوتر عندما خطا "انطونيو" إلى الأمام واعتصرها بين ذراعيه .

في هذه اللحظة ظهر "إميليو" في الظل وتولى زمام الأمور . نظر إلى "هيلاري" وهو يتكلم :

- اعتقد انه من الواجب ان تعلمي ان الصغيرة "جينا" كانت هنا مع جدتها طوال الوقت وقد عاد والدها فقط هذا الصباح ولكن الطفلة لم تترك الجزيرة إطلاقا .

شهقت "سالي" وقالت :

- ولكن ...

ولكنه اضاف عن عمد :

- لقد افترضت ان "انطونيو" قد اختطفها بعيدا ولكنك كنت مخطئة تماما .

- جاء دور "انطونيو" كي يقول كلمته . رفع كتفيه وشدهما وضاقت عيناه وهو يوجه الكلام إلى زوجته :

- بعد معركتنا كل ما اردته هو ان ارحل بعيدا إلى مكان ما اخلو به إلى نفسي كي اجد فرصة للتفكير . كان لدي موعد عمل في "جينوا" واخر في "هامبورج" لذا قررت ان اربط بينهما واختفي فترة . لم يكن في مقدوري ان آخذ "جينا" معي ولم اكن استطيع ان اتحمل فكرة ان افقدها معك ايضا ..

وضعت "سالي" يدا معتذرة فوق كم سترته واستمر :

- لذا رحلت وتركتها مع جدتها و"إميليو" في سرية تامة .

نظرت "هيلاري" إلى "إميليو" . لقد احتفظ بالسر جيدا وفجاة احست انها لاتلومه إطلاقا لقد كان الأمر قبل كل شيء في صالح الطفلة وان تبقى في الجو الطبيعي إلى ان تمر العاصفة .

ويبدو ان العاصفة قد مرت . لف "انطونيو" ذراعه حول "سالي" وقال لها برزانة .

- لقد ادركت انني ملوم جزئيا عما حدث واتمنى ان اصلح الأمر حتى لو لم يات "إميليو" طائرا طوال هذه المسافة عبر المانيا كي يطلب مني العودة مباشرة لقررت البقاء خارج الجزيرة الوقت الكافي .

احتضنته "سالي" بينما استدارت "هيلاري" خفية ونظرت إلى "إميليو" إذن لقد كان هذا هو السبب في غيابه طوال اليومين السابقين . لقد رحل إلى المانيا في مهمة رحيمة تشبه مهمتها . احست بدفعة من الشكر والعرفان . بطريقة ما فإن هذه الحركة كانت اكثر مما توقعته منه .

عندما التقت عيناهما جاء نحوها وهو يبتسم:

- اتعشم ان تغفري لي ماتشعرين به من ضيق بسبب إخفائي مكان الطفلة. ابتسمت له لم يقل "إميليو" ابدا ان الطفلة مع "انطونيو" وهو الاستنتاج الذي وصلت إليه هي و"سالي" ورغم ذلك فقد سمح لهما في الاستمرار في الاعتقاد بصحته . هزت كتفيها بلا اكتراث وقالت :

- على كل إن ما حدث كان في صالح القضية .

وافقها بهز راسه :

- اعرف انك كنت ستتفهمين الأمر .

ثم أشار إلى السيدة ذات الشعر الأبيض وامسك بها من مرفقها وسحبها نحو "هيلاري" قائلا :

- اسمحي لي بكل تواضع أن اقدمك إلى امي "نوريا" وانت يا امي اتذكرين اخت "سالي هيلاري" ؟ لقد حضرت زفاف "سالي" و "انطونيو" بالتاكيد .

ابتسمت السيدة ذات العينين البنيتين الدافئتين لها :

- بالتاكيد نعم إنني اتذكرك . لقد كنت ضيفتنا في الجزيرة ؟ انت اخت "سالي" وكان لابد لي ان ادعوك ثانية من وقت طويل ولكن الأمور كانت غريبة وملتوية بعض الشيء لذا آمل ان تغفري لي . إنني مسرورة بان استقبلك الآن واحتفي بك .

هزت "هيلاري" راسها شاكرة ورات في خطوط وجه السيدة القوية صورة لابنها الاكبر . ربما وجدت نفسها تفكر إنه ليس من الخفي أن "نوريا" كانت تثبت وجودها من وقت لآخر في حياة اختها "سالي" غير المجربة . ولكنها احست ايضا ان تاثيرها كان إيجابيا .

- إنني سعيدة لوجودي هنا .

قاطعهما ظهور تلك المخلوقة الصغيرة بينهما والتي امسكت بذيل ثوب جدتها وهي تصيح :

- نونا .. نونا !

انحنت السيدة العجوز كي ترفع الطفلة بين ذراعيها وفجاة ظهرت "سالي" بينهما وهي تبدو مسترخية وسعيدة فجاة وقد اختفت خطوط التوتر من وجهها ونظرت ما بين اختها وابنتها وابتسمت :

- لقد حان الوقت كي نقدم هذه السيدة الصغيرة إلى خالتها "هيلاري".

ابتسمت "سالي" وضحكت "هيلاري" في سعادة عندما استدارت

العينان الخضراوان إليها وتم التعارف .

ابتسمت "هيلاري" لـ"سالي" وقالت :

- إنها اجمل من صورتها الفوتوغرافية .

ابتسمت لها "سالي" ابتسامة فخر وقالت :

- إنها رائعة اليس كذلك ؟

- انضم إليهن "انطونيو" ثم قدم نفسه بحماس لأخت زوجته .

- لقد اخبرتني "سالي" بكل الاهتمام الذي بدا منك في الأيام الماضية واريد ان تعرفي مدى تقديري لذلك .

- لا تذكر هذا إنني فقط سعيدة ان ثلاثتكم قد عدتم لبعضكم وهو أهم شيء ابتسمت له وهي دهشة من ملامحه الناعمة الوسيمة وعينيه البنتين الحساستين وفجاة احست انها كانت مخطئة عندما وصفته لدى "إميليو" بانه ضعيف .

كان "انطونيو" اصغر منه واكثر تاثيرا . من الواجب ان يسمح احيانا لابن عمه الاكبر والاقوى والاكثر خبرة وحيوية وهو امر لا يثير العجب . إن تاثير "إميليو" من الصعب تجاهله . ولكن ربما كان "انطونيو" مثل "سالي" قد اخذ في النضج . كانت ترى وراء حساسيته سمات شجاعة الـ "واكورماك" ولان ما سادها شعور بان "انطونيو" سيثبت ذاته كزوج امام "سالي" في النهاية . تدخلت "سالي" في الحديث :

- إن كلينا يامل ان تحضري وتمكثي معنا بضعة ايام قبل رحيلك .

ولكن "هيلاري" ابتسمت وهزت راسها وقالت محتجة .

- لم اكن احلم بذلك ، ولكنك و "انطونيو" في حاجة إلى الانفراد بنفسيكما وليس هناك حق ما يبقيني هنا .

عندما قالت جملتها الأخيرة احست بالم حاد ومفاجئ في صدرها ووجدت نفسها تحملق إلى "إميليو" .

لايزال امامها بعض الأمور لكي تؤديها . يجب ان تشكر "إميليو" بطريقة لائقة على ما تكبده من مشاق لاستعادة "انطونيو" ثم يجب ان

تودعه .

ولكنها حتى بعد أن لملمت شتاتها داخليا من اجل اداء تلك المهمة إلا انها وقفت في مكانها فجاة وهي قلقة وعيناها تبحثان في كل الغرفة . ولكنها لم تر اثرا له. لقد اختفى كقبض الريح .

عندما استرعت الصغيرة "جينا" انتباه المجموعة مرة اخرى دارت "هيلاري" حول نفسها في قلق تساءلت لماذا تشعر بهذا الخوف ؟ من المحتمل ان كل ما فعله هو انه خرج من الحجرة وقد يعود في اية لحظة . ولكن حاستها السادسة كانت تحذرها بان الأمر ليس كذلك إذ تذكرت انه قال لها عندما كانا في المزرعة في المرة الثانية عندما يحين الوقت فإنها سنطير بعيدا مثلي ، فإن الصقور تكره الوداع " .

كان قلبها يدق كالمطرقة . لم تكن تستطيع ان تدعه يفعل ذلك . يجب ان توقفه عن ذلك بطريقة ما .

هزت رأسها هزة للآخرين واستدارت معتذرة وسارت برشاقة عبر حجرة المكتب ومنها خرجت إلى البهو . نظرت بسرعة إلى اليمين ثم إلى اليسار إلى نهاية الممرات التي كانت تمتد على كلتا الجهتين ثم في منتصف الطريق نحو الباب الأمامي المفتوح سمعت صوت محرك سيارة منخفضا بالخارج . توقف قلبها في صدرها .

اوشكت ان تجري المسافة الباقية حتى الباب ولكنها تاخرت لقد كانت السيارة الضخمة تسير إلى الخلف خارجة إلى الممر الداخلي ومنه نحو البوابات رأت "هيلاري" الوجه الأسمر الجانبي خلف عجلة القيادة وقاومت رغبتها ان تجري وراءه . واستطاعت بطريقة ما ان تخنق لهفتها على ان تنادي عليه وتتوسل إليه ان يتوقف . لقد حدث بالضبط ما حذرها منه لقد رحل دون حتى ان يلقي نظرة سريعة خلفه احست بقلبها كالمضخة من الشوق الذي اوشك ان يمزق روحها ووقفت ساكنة في مدخل الباب وظلت تنظر إلى ان اختفت السيارة عن نظرها . .

الفصل التاسع

قالت "انيبال" الفتاة ذات الشعر الأحمر التي كانت تعيش مع صديقها في الشقة المجاورة لشقة "هيلاري"

- يبدو ان نهاية الصيف قد حدثت وسياتي الشتاء قبل ان نحس به.

- انت على حق . إن هذا هو اليوم الثالث الممطر هذا الأسبوع .

اهتزت "انيبال" في ضيق من البرد .

- إنني ساسارع إلى محل "تاج" كي احضر وجبة سريعة حيث سيكون أمامنا الليل بطوله . هذا إذا استطعت العودة سالمة .

ابتسمت "هيلاري" بطريقة غريبة في نفسها وهي تصعد درجات السلم إلى شقتها في الدور الثاني وهي تحمد حظها انها لن تحتاج إلى الخروج مرة ثانية في هذه الليلة ، لقد قضت يوم الجمعة في اضطراب المكاتب الأمامية حيث تعمل حاليا وعودتها غير المريحة كالعادة عبر طريق قطار الشمال . كانت تحس مثل "انيبال" انها في حاجة ماسة إلى أمسية هادئة في المنزل تليها عطلة نهاية اسبوع هادئة .

قطبت وهزت رأسها في غيظ وهي تضع المفتاح في قفل الباب الأمامي . إن عطلات نهاية الأسبوع أصبحت كثيرة لديها اخيرا وأصبحت روتينا في حياتها .

تناولت كومة الخطابات من داخل الشقة والتي كانت ملقاة فوق المرتبة ثم القت بها بسرعة فوق المائدة وهي لا تزال تحاول إغلاق مظلتها ثم تخليصها من المياه داخل غرفة الحمام ثم خلعت معطف المطر .

توقفت امام نافذة غرفة النوم كي تنظر إلى المنظر الذي اكتسحته الأمطار في الطريق امامها . لقد قالت "انيبال" إنه يبدو أن الصيف قد انتهى . اسدلت "هيلاري" الستائر الثقيلة وهي تزفر ثم استدارت ، لقد انتهى الصيف بالنسبة لها في اللحظة التي خطت فيها من العبارة عند جزيرة "ميلانو" منذ شهرين وعودتها بالطائرة إلى لندن كانت رغبتها الأصيلة في أن تمد إقامتها في إيطاليا مدة أخرى قد فقدت جاذبيتها تماما . لقد احست وقتها بالفعل ببرودة الشتاء تمسك بقلبها .

خلعت حذاءها وذهبت إلى المطبخ وهي تلتقط كومة البريد في طريقها . كان لابد أن تبدأ بالمهم فاعدت قدحا من الشاي ثم جلست واخذت تفتح الخطابات من بين كومة البريد العادي والفواتير والإعلانات وجدت خطابين اثارا انتباهها في الحال . احست بتقلص ماخفي في قلبها عند رؤيتها طابع البريد الأميركي كان

الخطاب الأول من "سالي" إذ تعرفت على خطه اما الثاني فقد كان من امها بخطها الجميل المنتظم . قررت أن تفتح الخطاب الثاني أولا . كان مليئا باخبار متنوعة مثل الخالة "إدنا" التي اخذت تستعيد صحتها بعد أن اصيبت بنزلة برد شديدة وان القطة توشك أن تضع . ولكن الأمور اساسا على خير ما يرام . كانت تبدو مرحة وفي سلام مع العالم وهو امر تحمد عليه .

عندما فتحت خطاب اختها "سالي" تريثت دون إرادتها كي تفحص علامة البريد . كانت من "نابولي" .

ابتسمت في مشاعر متداخلة ، لقد مر اكثر من شهر منذ انتقلت "سالي" "انطونيو" إلى "نابولي" حيث عين "انطونيو" مسؤولا عن مكتب "واكورماك" البحري .

ووفقا لاقوال "سالي" فقد كان هذا افضل انتقال فعلاه . كانت الوظيفة الجديدة تتضمن رحلات اقل بالنسبة لـ"انطونيو" وحياة اكثر استقلالا بعيدا عن عائلة "انطونيو" .

بدأ الخطاب كالعادة بالأخبار المتلاحقة كعادة "سالي" ثم اكتشفت "هيلاري" بعد ذلك انباء خاصة ضمن ماذا سيحدث ؟ إنني اتوقع طفلا آخر في نهاية ابريل القادم ويامل كلانا ان يكون ولدا !

كانت انباء عظيمة ، رفعت "هيلاري" عينيها واخذت تحملق إلى الفضاء ، كل شيء كان يسير بطريقة رائعة بالنسبة لـ"سالي" و"انطونيو" على اية حال لقد منحتهما حياتهما الجديدة في "نابولي" آفاقا واسعة جديدة كانا في حاجة إليها وبداية جديدة كي يلقيا بالماضي خلف ظهريهما . زفرت وهي تعلم من كان خلف كل ذلك .

انحنت كي تقرأ بقية الرسالة التي احتوت على وصف لبيتهم الجديد وحضانة "جينا" الجديدة والأصدقاء الذين تعرفوا عليهم وانتهت الرسالة كالعادة بدعوتها لزيارتهم في اقرب فرصة .

وعدت نفسها ان تحقق تلك الرغبة وهي تضع الخطاب جانبا . لابد الا تنتظر طويلا قبل ان تلبي دعوة شقيقتها وإن شاب حماسها نوع

من الحزن ، لقد كانت "نابولي" غير "ميلانو" ولن يكون هناك "إميليو" .

عندما عادت "هيلاري" إلى لندن بعد عودة "انطونيو" ودون ان ترى "إميليو" مرة اخرى كان الصيف قد بدا لها فجاة شديد الحرارة . لقد ماتت في داخلها شعلة جديدة من العواطف التي حاولت جاهدة ان تبعثها حية دون جدوى . كانت تامل بكل قوتها وبكل تفاؤلها وبكل دعواتها ان تكون كل طرقة على الباب وكل رنين للهاتف واي خطاب تجده في صندوق البريد ان يكون من "إميليو" . ولكن كل دعواتها عادت إليها بصمت مطبق .

توقعت حتى في الرجاء شيئا فشيئا ان تسمع عنه . كان واضحا انه عندما ادار لها ظهره وقاد سيارته في ذلك اليوم لم يكن لديه اية نية في الرجوع .

ورغم انها وجدت بعض التسرية في الاعتقاد انه يوما ما في العاجل او الآجل لابد ان تراه إن لم يكونا كعاشقين فعلى الاقل كقريبين من بعيد فوق جزيرة "ميلانو" عند زيارتها لشقيقتها ولكن انباء انتقال اختها إلى "نابولي" ورغم فرحها من اجلها إلا انها جاءت كضربة قاصمة .

- لم يعد هناك سبب بعد الآن كي تضع قدميها على "ميلانو" مرة اخرى . ومن المحتمل الا ترى "إميليو" مرة اخرى إطلاقا .

اخذت تفكر في يأس وقنوط في إبعاد ذلك الخاطر وتساءلت إذا كان ذلك هو القرار الذي اتخذه "إميليو" كي يبعد "انطونيو" عن الجزيرة حتى لايتاح لها عذر لزيارتها . على اية حال فإن اي رابطة سبق ان ربطتهما قد انحلت كي يطير كل منهما في طريق مختلف عن الآخر .

اعادتها طرقة حادة ومفاجئة على الباب الأمامي إلى الواقع . القت بخطاب "سالي" فوق مائدة المطبخ وسارعت للرد .

كانت الطارقة هي "انيبال" وهي ترتدي معطفا يتقاطرمنه المطر وتحمل حقيبة تخرج منها رائحة هندية مميزة وابتسمت لـ "هيلاري" وهي تقول:

- آسفة لإزعاجك . لقد اردت ان اسالك عندما رايتك في الدور الأرضي؟ هل يمكنني ان استعير جهاز التسجيل هذه الليلة فقط ؟ هناك حفل موسيقي في الراديو نريد ان نسجله وجهازنا معطل .

- بالتاكيد نعم . هيا ادخلي إلى ان احضره لك .

كانت "هيلاري" اكثر سعادة ان تقدم هذه الخدمة . لقد كانت "انيبال" وصديقها جارين طيبين على استعداد لتقديم اي مساعدة تطوعا .

هزت "انيبال" راسها وهي ترفع الحقيبة البلاستيك عاليا .

- إنني لا أستطيع لانني اود ان اسارع قبل ان يبرد هذا الطعام ابتسمت "هيلاري" وذهبت كي تحضر جهاز التسجيل الموضوع على رف خلف الأريكة وقالت متفكهة :

- لايوجد اي خطرمن ذلك ، إذا كان من نفس نوع الطعام الهندي الذي احضرته اخر مرة من محل "تاج" . عادت ثم ناولت الجهاز لـ"انيبال" وهي تبتسم:

- هيا امسكي ولست في عجلة لاستعادته .

- شكرا جزيلا ولكني ساحضره لك بالتاكيد غدا ، إنه حفل موسيقي لـ"بن جوفي" وهو المفضل لدى "بني" وكان سيشعر بالأسف الشديد لو لم يسجله .

راقبتها "هيلاري" وهي تذهب وهي تحس فجاة الطعنة من الحسد لرؤيتها مشاعر السعادة على وجه "انيبال" وهي تسرع عائدة إلى شقتها ولـ"بني" . اغلقت الباب وعادت إلى حجرتها . لقد بدا العالم مليئا بالأزواج السعداء هذه الليلة ، "سالي" و"انطونيو" و"انيبال" و"بني" بينما احست هي بالوحدة اليائسة .

اجتاحها شعور بالفراغ فغاصت في الأريكة واغلقت عينيها . لو ان طريقهما لم يلتقيا ولم تقع في حبه لما جرؤت على الاقل . لو لم يندفع كي ينزع قلبها من صدرها لما شعرت بما تشعر به الآن .

كتمت زفرة واستدارت نصف دورة وحملقت في الرف الموجود

خلفها ثم اسقطت نظراتها في حزن إلى اسفل على القمع الجلدي الأرجـــواني ذي الريش الأزرق الذي كـــان في مكانه منذ عـــادت من الجزيرة، بفورة من العاطفة مدت يدها وتناولته ، كان القمع الذي ارتداه الصقر في اليوم الذي اخذها فيه "إميليو" لرؤيته وهو يطير لمست الريش الناعم . لقد كان هدية وادعة ثم رفعته . وهي ترتعش - امام وجهها وقد بدات الدموع تنساب فوق خديها .

فجاة بدات تشهق شهقات مؤلمة من صميم قلبها لا تستطيع ان تمنعها اخذت تئن على الحب الضائع الذي لم يكن ابدا حبها .

-نهضت "هيلاري" في صباح اليوم التالي وحدثت نفسها حديثا عاقلا . إن ذلك الحزن اليائس لم يكن يفيدها .

اعدت لنفسها فطورا دسما اكلته ثم كتبت قائمة بما يجب ان تفعله وكتبت على راسها الاعمال الاهم إلى ان انتهت بحضور الدروس المسائية ، شراء حذاء جليد وطهو طعام خاص من اجل الأمسية.

لابد ان تشغل نفسها وان تبحث عما يسليها .

ويلهيها وامور تخرجها مما تفكر فيه .

فجاة قررت ان ترتدي ملابس الخروج . كانت عادة في عطلات نهاية الاسبوع ترتدي الجينز اما اليوم فقد اخرجت من صوان ملابسها جيبة ضيقة وبلوزة وبلوفر من الكشمير برقبة و"جاكت" على الطراز "البورجاندي" ثم عقصت شعرها في ضفيرة واحدة على ظهرها ونظرت إلى صورتها في المراة وقد ارتفعت معنوياتها .

ربما يكون في تلك اللحظة بالذات مسترخيا في "كازا جراندي" مع الفتيات الحسناوات من حريمه وهي آخر شخص يفكر فيه . القت حقيبة يدها الجلدية السوداء فوق كتفيها واتجهت في عزم نحو الباب . حسنا من الآن فصاعدا اقسمت انه سيكون آخر رجل تفكر فيه ويبدو ان عزمها ذلك قد افلح إذ إن الوجه الكئيب الذي كانت عليه منذ اسابيع اصبح وجها وسيما ورقيقا ومتمالكا مع سيرها في خطوات سريعة ومتحدية قضت الصباح في الشراء ثم تناولت غذاء في مطعم

ومقهى محلي قبل ان تشتري شريط فيديو من اجل التمتع بالامسية وعادت إلى المنزل ثانية .

قررت ان تقضي بقية فترة ما بعد الظهر في كتابة خطاب مطول تهنئة لـ"سالي" ثم آخر لأمها ايضا ثم تجلس كي تقرا محاضرات عن الدراسة المسائية التي جمعتها من المكتبة المحلية . ابتسمت ابتسامة رضا حتى تنضج شريحة اللحم . وقطعت الجاتوه التي احفرته معها من اجل الأمسية . لقد ادت مهمة ناجحة في استعادة لياقتها .

ثم إنها ستتمتع بحمام طويل ومريح وكسول .

كانت قد استغرقت بين رغاوي الماء والصابون ، حينما دق جرس الباب سبت "هيلاري" ولعنت . ربما كانت "انيبال" قد عادت كي ترد جهاز التسجيل وكانت تود ان تتجاهلها وان تظل في مكانها ولكنها دقت الجرس مرة اخرى بإلحاح هذه المرة . نهضت في تردد من بين الماء المليء بالبخار والرائحة العطرة وامسكت منشفتها الكبيرة من فوق الباب ولفتها بقوة حول جسدها واسرعت نحو الباب و فتحت الباب وعلى فمها ابتسامة اعتذار مؤدبة .

- لم يكن من الواجب ابدا ان تتعبي ...

ولكن الكلمات توقفت إلى صمت مذهل حيث رات امامها ، ليس جارتها وإنما رجلا اسمر طويلا ، في حلة زرقاء انيقة . اخذ قلبها يتخبط داخل صدرها .

- هالو "هيلاري" !

بدت مذهولة امام ضوء الخريف القاتم الآتي من نافذة الحجرة إلى ذلك الشكل الأسمر . ثم إنه كان فوق ذلك وسيما وانيقا إلى اقصى درجة مثل طائر غريب آن من الفردوس إلى مكان بعيد عن موطنه ...

ظلت تحملق إليه بلا كلام وقد احست بان شخصيتها الجديدة والوليدة قد بدات تنهار وتسقط قطعا . رفع احد حاجبيه السوداوين وابتسم لها :

- ماذا حدث يا "هيلاري" ؟ الن تدعوني للدخول ؟"

- بالتاكيد .

- خطت إلى الخلف بسرعة وهي تزيد من شد المنشفة حولها وقد احست بان الكلمات خرجت من فمها متقطعة .

مر "إميليو" بجانبها داخلا البهو الضيق ثم توقف كي يلقي نظرة عليها وهو مقطب الجبين :

- ارجو الا اكون قد اتيت في وقت غير مناسب ! . "

- بالتاكيد لا

هزت راسها والتقت عيناها بعينيه وهي ترى لديه شكا بان هناك رجلا آخر عندها . سرى داخلها إحساس حي عند هذه الفكرة . كان خليطا من الكراهية لانه ليس من حقه ان يهتم ومن القلق غير المنطقي والرغبة ان تؤكد له ان ظنه ليس في محله . اشارت وهي تبتسم شبه ابتسامة إلى قدميها العاريتين .

- لقد كنت اوشك ان آخذ حماما . ارجو ان تتصرف على راحتك وارجو ان تجلس على حافة الأريكة بينما اجلست نفسها على مقعد ذي مسندين في مواجهته ثم قال لها :

- هل انت بخير ؟ "

- نعم شكرا لقد كنت بخير .

نظرت في عينيه اللتين تطرفان واحست بقلبها ينسحق إلى لاشيء داخل صدرها . لماذا لا تواجهه بالحقيقة بدلا من هذا التصرف المؤدب ؟ لماذا لا تعترف بانها لم تكن على ما يرام إطلاقا ؟ وانها اشتاقت إليه وانها تعذبت إلى درجة الاحتضار عندما هفت إليه روحها ؟ وان ذلك القناع من التمالك الذي يراه ما هو إلا تخف هش ؟ وبدلا من ذلك قالت:

- انت تبدو في خير حال ايضا .

ابتسم وقد ركز عينيه على وجهها ثم اسند ظهره للخلف واخذ يتجول بنظره داخل الحجرة :

- إذن هنا تعيشين . لقد تساءلت كثيرا كيف يبدو؟

تساءلت ماذا يدعوه إلى ان يتساءل قال لها "إميليو" .

- لقد احسنت ترتيبه وإعداده تماما كما توقعت .

كان يرتدي قميصا ابيض على النقيض تماما للحلة الزرقاء وربطة العنق بلون بحري "بورجوندي" . عندما استند إلى الوسائد ومد ذراعه فوق مسند الأريكة في حركة ترضية وسلطوية في آن واحد . تذكرت "هيلاري" في الحال اول مواجهة بينهما في قصر "كازا جراندي" .

استرخت هي الأخرى فوق مقعدها وهي ترتشف الشاي المثلج وقد احست تماما بوجوده الجسدي .

واحست بعصبية حادة لأسباب عدة ومختلفة . لقد تذكرت ايضا في تلك اللحظة بان عينيه كانتا دوما تفحصانها بطريقة حسية. حاولت ضبط ثوبها الطويل فوق ساقيها دون داع . ثم سالته في قوة من العواطف :

- كيف تسير الأمور فوق الجزيرة ؟ .

ابتسم :

- كما هو دائما . ليس هناك تغيير كبير في "ميلانو"

- اعتقد ان الصيف لايزال هناك ؟.

- إن الجو اقل حرارة عما قبل و هو جميل في هذا الوقت من السنة فجاة وقعت عيناها على القمع الأرجواني ذي الريش الأزرق على الرف خلف راسه فقالت :

- وكيف حال الصقور ؟ هل رحلت ؟

- اتعنين الافراخ ؟

هزت راسها موافقة فقال :

- إن آخر واحد منها طار من يومين فقط قبل رحيلي .

كان "إميليو" قد اسقط ذراعه من فوق مسند الأريكة وهو يتكلم ومال نحوها قليلا ثم قال :

- هيلاري" !

ولكن قبل ان يستمر في الحديث وجدت نفسها تقاطعه وقد شاب صوتها قليل من العدوانية :

- لماذا انت هنا يا إميليو ؟

فردت ظهرت وحملقت إليه وقد بدا العداء في كل تقاطيع وجهها إذ إن كل الذكريات المؤلمة لآخر زيارة لها للمزرعة ظهر فجاة .وتذكرت بالذات عندما صارحها بانه لا يوجد مكان للآخر في حياة كل منهما قالت بلهجة عدوانية جافة وتهكمية :

- من المفروض انك لم تقطع كل تلك المسافة كي تشترك في محادثات عادية معي.

اجتاحت عيناه وجهها:

- بالتاكيد لا .

- إذن ماذا تصنع هنا؟

انتظرت منه ان يقول إنه في لندن في عمل وانه فقط توقف كي يراها كحركة مجاملة عادية وقد اقسمت في هذه الحالة انه لم يكن في حاجة كي يزعج نفسه وتدعوه في ادب ان يرحل . وفي نفس الوقت كانت تعد نفسها داخليا لخيبة الأمل لو صح توقعها.

اخذت العينان السوداوان تفحصانها لحظات في تردد لامعنى له . واخيرا قال بشيء من الحزن :

- لقد حضرت لأن لدي امرا اود ان اخبرك بك .

- لي ؟ ماذا ؟ .

احست فجاة بالقلق والاهتمام للهجة الحزن في صوته . هل جاء باخبار عن "سالي" ؟ هل هناك سوء ؟

ولكن الأمر لم يكن كما توقعت . لمس ربطة عنقه وقال :

- إذا اردت الحقيقة ... لقد اشتقت إليك .

ظلت "هيلاري" لحظات تنظر إليه غير فاهمة وغير مصدقة ثم فجاة احست بشيء ينكسر داخلها صاحت :

- اشتقت إلي ؟

قامت على قدميها وهي تشعر بنوع من المهانة :

- بالتاكيد لابد انك تعرف انني لن اصدق ذلك .

ولماذا لا تصدقين ذلك ؟ .

- لأن ذلك امر غير معقول . لو انك اشتقت إلي حقا لاتصلت بي من مدة ، على الاقل كنت كتبت لي .

قال "إميليو" بهدوء شديد :

- لقد كتبت لك ! .

ظلت "هيلاري" لحظات دهشة ثم عقدت ذراعها فوق صدرها وحملقت - غير مصدقة - إليه :

- لا ... إنك لم تفعل . إنك لم تكتب لي مرة واحدة .

ظل مركزا نظراته عليها وهو ينهض ببطء ليقف امامها ثم ابتسم في غير توقع وهو يقول :

- لقد اتهمتني خلال الدقائق القليلة الماضية مرتين بانني كاذب . ولكني اقولها لك يا "هيلاري" إنك على خطا . لقد كتبت بالفعل عدة مرات ولكني فقط لم ارسل الخطابات لأنني مزقتها وكنت اوشك ان اتصل بك الاف المرات بل وصل بي الحال انني ادرت قرص الهاتف ثم اغلقته في اخر لحظة .

ظلت تحملق فيه وهي صامتة كالبلهاء تساءلت هل فعلا ما يقوله صحيح ؟ سالها :

اتصدقينني

هزت راسها موافقة رغم ما كان يغشاها من شك .

لماذا يتعب نفسه بالكذب ؟

ابتسم وهو يقترب منها ويضع يديه بخفة فوق كتفيها :

- تبدين دهشة وغير مصدقة تماما مثلما كنت احس خلال الشهرين الماضيين.

لقد تعودت علي ... والغلطة يا عزيزتي "هيلاري" هي غلطتك كلية .

- غلطتي ؟

حملقت إليه ببلاهة وكان قلبها يتراقص بوحشية داخل صدرها . كانت في تلك اللحظة بعيدة تماما عن فعل اي عمل عقلاني فما بالها بفهم واستيعاب ما يقوله لها . كل ما كانت تعرفه في تلك اللحظة هو عينيه المخترقتين الداكنتين تحرقان وجهها وكانهما قضيبان محميان. اما لمسات اصابعه فكانت كالنار تخترق الثوب البشكير . تلعثمت وهي تسال :

- لست ادري ماذا تعني ؟

- اعني يا عزيزتي "هيلاري" انه خلال الشهرين ونصف الشهر الماضيين لم افكر في اي شيء سواك ، ليلا ونهارا رغم تصميمي الحاسم على نسيان اية افكار عنك .

قطبت وجهها فانزل إحدى يديه من فوق كتفها وادار ذقنها باطراف اصابعه بينما انزلقت الذراع الأخرى كي تحتضنها بقوة :

- عندما بدات تمتلكني صورتك بطريقة او باخرى منذ اللحظة الأولى التي حضرت فيها إلى الجزيرة قلت لنفسي يجب ان اتحرر من ذلك التملك فور مغادرتك الجزيرة . ولعلك تذكرين انني لم احاول تشجيعك.

رمشت عينا "هيلاري" دون إرادتها . لم يكن في حاجة كي يذكرها بذلك . مال وقبلها على جبينها واكمل :

-على اية حال عندما رحلت زاد التملك بكل بساطة .

إن ما اود ان اقوله لك يا "هيلاري" وهو ما لم اكن اقوله لولم اكن متاكدا ... إن الحقيقة يا عزيزتي "هيلاري" هي انني وقعت يائسا في حبك ! "

رددت الكلمة وهي غير مصدقة . فقال مؤكدا :

- نعم احبك . كم مكثت في الجزيرة ؟

- ثمانية ايام تماما .

ابتسم واكمل حديثه :

- والآن خبريني . هل من الممكن ان يقع الإنسان في الحب إلى هذه

الدرجة العميقة في مثل تلك الفترة القصيرة ؟

فكرت ان ذلك ممكن تماما ولكنها. تستطع ان تقول ذلك وبدلا من ذلك قالت له : - إنني حقا لا اعرف .

نظر إليها نظرة طويلة :

- الا تعرفين ؟ يمكنني ان اؤكد لك ان ذلك ممكن . استمرت تحملق إليه وهي نحس بان كل كيانها ممزق وهي مشتاقة إلى ان تلقي بنفسها بين ذراعيه وان تخبره انها هي ايضا تحبه ومع ذلك في اعماقها لا تزال غير قادرة على تقبل اعترافه واحست انها في حاجة إلى ان تمتحن ذلك الاعتراف . - إذن لماذا استغرق منك الأمر كل ذلك الوقت ؟

اشتدت اصابعه حول ذراعها قليلا وقد قطب جبينه واقترب حاجباه:

- صدقيني يا "هيلاري" إن بعدي عنك كان جحيما لم اواجه مثله من قبل ولكن كان لابد لي ان اتاكد تماما من عواطفي . لم يحدث لي مثل ذلك الأمر من قبل ولو من بعيد .

كانت "هيلاري" لم تستطيع ان تفهم من الضوء ان الذي انار عينيه ان كل كلمة منه كانت صادقة . لقد كان ضوءا كاشفا وقويا ومتوحشا عندما قال :

- إنني احبك يا "هيلاري" واصبح من الجنون المطبق ان اظل بعيدا عنك بعد ذلك ولو لحظة .

احست بفيضان من العواطف ينهال عليها وانفلتت دموع يائسة من عينيها وقفت في مكانها كالطفل بينما اجتاحها السرور والقلق والارتياح كالشلال .

كان صوتها متقطعا وهي تقول : "اوه يا إلهي" .

ثم قالت له في شبه اتهام وفي نفس الوقت تعبير عن الارتياح .

- لقد ظننت انني لن اراك مرة اخرى .

- هيلاري" ! يا كنزي" ! إنني احبك يا كنزي ! ..

فجاة احاطها بذراعيه . ثم قال :

- ارجو ان تغفري لي يا حبي .

قالت وهي تهمهم :

- اوه يا "إميليو" . لقد ظننت انني ساموت ... إنني احبك من كل قلبي .

- لدي سؤال واحد اود ان اطرحه عليك .

اخذ قلبها يدق كالمطرقة :

- وما هو ؟

قبلها ثم قال بزراته :

- إن هذا السؤال يتعلق بالسبب الذي قطعت من اجله كل تلك المسافة : إنني اريد ان اتزوجك يا "هيلاري" .

- اخذ قلبها يدق بشدة حتى اوشك ان يتوقف وظلت صامتة فاستحثها !

- حسنا ؟ .

اخذت نفسا عميقا وسالته :

- لقد ظننت انك لست مستعدا لقيود الزواج ؟

هز "إميليو" راسه موافقا ومعترفا بالملحوظة التي سبق ان قالها لها في تلك الامسية على العشاء .

- ولكني كنت مخطئا . إنني اكثر من مستعد . إنني احبك واريدك زوجة لي. ولن اتحرك من مكاني مالم تكن الإجابة بنعم .

- في هذه الحالة ماذا يمكنني ان اقول غير ذلك ؟.

جاءت تلك العبارة محاولة لإخفاء السعادة العميقة العارمة التي احستها فجاة وغزت قلبها والتي بدت لامعة في عينيها . واحتضنته بكل الحب في روحها وقالت :

- بالتاكيد ساتزوجك .

كانت سعيدة لانهما انتظرا حتى يبادلها الحب في الجزيرة السيسيلية الدافئة بدلا من غرفتها الصغيرة . لقد احست باكثر من رابطة تربطهما غير العاطفة والحب وإنما إحساس عميق بالالتزام

وامتزاج حياتهما . فكرت انه الرجل الوحيد الذي ستعيش معه طوال حياتها والذي لا تستطيع ان تحب سواه . في هذه اللحظات تملكها كلية .

طفرت دموع الحب والإثارة من عينيها وفكرت انها لو ماتت في تلك اللحظة لما اهتمت . فقد امسكت بالسعادة الحقيقية .

انطلق القارب البخاري يشق عباب الماء وكانه طائر هائل ابيض في الميناء يتجه نحو المرساة .

عند رؤية "هيلاري" له اخذ قلبها يدق ويصعد في صدرها . نظرت إلى الرجل الواقف بجوارها والذي كان يبتسم لها .

- لقد اقتربنا من المنزل .

ابتسمت له :

- إنني لا اكاد اصدق ذلك .

مال عليها "إميليو" وقبلها وهو يقول :

- من الافضل ان تصدقي ذلك . من الآن فصاعدا عزيزتي "هيلاري" انت تنتمين إلى هذا المكان .

تهادى القارب الفخم الضخم وعليه الشعار الذهبي لآل "واكورماك" إلى ان رسا على المرساة الخاصة في طرف الميناء حيث كانت "هيلاري" و"إميليو" في الانتظار . قام مساعد البحار بتحيتهما ثم اضاف وهو ينظر إلى "هيلاري" :

- مرحبا والف تهنئة إذا سمحتما لي بذلك .

ابتسم له "إميليو" ردا على تحيته واحست بالدماء تتصاعد في وجنتيها عندما مد لها الرجل يده كي يساعدها على النزول إلى القارب في احترام .

اخذت تفكر في ان الامر سيتطلب منها بعض الوقت حتى تتعود على الحديث . كان الجلد الذي يكسو المقاعد بلون احمر دافئا من حرارة الخريف وهي تجلس في دعة وعيناها فوق وجه ذلك الرجل الوسيم الاسمر الذي جلس بجوارها فكرت في فخر انه زوجها ونظرت

إلى يدها حيث يوجد الخاتم الذهبي يلمع تحت الشمس . لقد تم زواجهما في إحدى الكنائس المتواضعة في جنوب لندن من يومين فقط وحضره فقط امها وخالتها "إدنا" و"انيبال" المذهولة وصديقها والتي قالت :

- اعلم انك قابلت رجلا ما في اثناء وجودك في "سيسيل" . والآن وقد قابلته فقد فهمت سبب توهانك وشوقك إليه . كان امامهما احتفال اعظم واكبر بعد عدة ايام في "كاتدراتية" كازا جراندي" تحضره كل عشيرة "واكورمك" ولهذا السبب توقفا بناء على إلحاح "إميليو" كي يشتريا افخم ثوب زفاف راته في حياتها ولكن في هذه اللحظة كان كل مايدور في ذهنها هو عودتها مع "إميليو" إلى "ميلانو" إلى الجزيرة التي بدا فيها كل شيء والجزيرة التي سيقضيان عليها بقية حياتهما كزوج وزوجة .

رفرف قلبها من الإثارة عندما دار القارب نصف دورة حول الميناء ثم اتجه ثانية إلى عرض البحر .

بعد خمس عشرة دقيقة بالضبط سيكونان في موطنهما .

- اخذت الرياح الدافئة تثير شعرها ومد "إميليو" يده كي يقربها منه وقد وضع ذراعه فوق كتفها بينما تشابكت اصابعه الطويلة مع اصابعها .

ثم فجاه نظر إلى السماء واشار صائحا :

- انظري يا "هيلاري" لقد جاءوا لتحيتك .

تنبعث اصبعه بنظرها وقد خف قلبها فجاة من السعادة حيث رات اعلاها سربا من الصقور كعلامة على حسن الطالع وهو يرتفع ويهبط في السماء .